الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط الموسومة بـ

العصبية القبلية والمصلحة الإقتصادية في عهد ملوك الطوائف (5ق هـ/11م)

إعداد الطلبة:

- خراط عيسى
- رواب الطاهر

إشراف الدكتورة:

تريكي فتيحة

لجنة المناقشة

د. بوخاري عمر	رئيسا
د. تريكي فتيحة	مشرفا ومقررا
د. حامي الحبيب	عضوا

الموسم الجامعي:

(1439ق هـ1440) الموافق لـ(2019- 2020م)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

لتكن هذه الورقة مساحة اعتراف أكثر من مجرد شكر للدكتورة تريكي فتيحة، التي قبلت الإشراف على هذا العمل المتواضع لما لمسناه منها من مصدر رحب وتوجيه سديد ونصائح قيمة كان لها بالغ الأثر في إنجاز هذا العمل منذ بدايته إلى غاية كتابتنا لهذه الأسطر.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الأفاضل وكل من أخذنا من نبع علمهم طيلة سنوات تكويننا، وكذلك عمال مكتبة كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية.

إلى أعضاء لجنة المناقشة بجزيل عبارات التقدير والإمتنان على قبول مناقشة هذا العمل، وتفحصه لتقديم ما ورد فيه من أخطاء وتصويبها.

إهداء

إلى الوالدين العزيزين أطال الله في عمرهما والذين سهروا حتى وصلنا إلى ما نحن عليه.

إلى كل أصدقائنا الأعزاء كل باسمه.

إلى كل الذين عرفناهم فأحببناهم وأحبونا.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

عيسى الطاهر

مقدمة

من حكم الله تعالى أن خلق الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً، وجعل اختلافا في ألسنتهم وألوانهم ومشاربهم واعتقاداتهم، وحتى في طريقة حياتهم ونمط معيشتهم وأمرهم بالخلافة في الأرض واستعمارها واستغلال خيراتها وثرواتها لبناء الحضارة، ولكنه سبحانه وتعالى وضع لهم قواعد وأسس تضبط علاقاتهم وتنظم حياتهم، وتحفظ حقوقهم وتمنع الفرد منهم أو الجماعة من التعدي على أفراد أو جماعات أخرى، ولعل من أخطر العدوان الذي يفسد العلاقات ويدمر الحضارات ما يعرف بالعصبية القبلية.

ولقد شهد التاريخ الإسلامي عبر مختلف العصور الزمنية محطات ومراحل تخللتها صفحات مشرقة وأحداث بارزة كان للعصبية القبلية وتأثيرها محورا مهما في سير هذه الأحداث وتوجيهها على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولعل من أبرز هذه المحطات التاريخية التي كان للصراعات العصبية النصيب الأوفر في تسارع وقائعها الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، فمنذ دخول الفاتحين الأوائل وما أن وطئت أقدامهم أرضها حتى بدأ الترويج لها.

وقد كان للعصبية القبلية التي تحركها المصالح الاقتصادية والمكاسب المادية دور مهم في هذه الأحداث، باعتبارها –العصبية القبلية– المعول الذي استخدمته كل عناصر المجتمع الأندلسي وفئاته من عرب وبربر، ومولدين، وموالي لتحقيق مصالحها والوصول إلى غاياتها.

لم تكن العصبية القبلية وليدة القرن الخامس هجري بل هي نتيجة لبذور أفرزتها الصراعات القبلية منذ بداية الفتح الإسلامي لتستمر هذه الظاهرة المقيتة دون أن تجد لها السلطة الحاكمة آنذاك حلولا جذرية لاستئصالها بعد أن استشرت سمومها بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي، وسيطرت على الحياة السياسية بين العرب أنفسهم قيسيهم ويمنيهم، وبين العرب والبربر والمولدين، ثم بين العرب والمولدين من جانب والبربر والصقالبة من جانب آخر ليكون نتيجة تلك الصراعات والصدمات انهيار الخلافة الأموية بالأندلس وقام على أنقاضها العديد من الدويلات والممالك.

ومن هنا تبرز أهمية موضوع العصبية القبلية، والمصلحة الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري فهو يكشف لنا عن دور العصبية القبلية في ظروف تشكل دول الطوائف وأهمية المصلحة الاقتصادية في طبيعة علاقاتها بعضها البعض.

لقد حظي موضوع دول الطوائف باهتمام الباحثين والمؤرخين المعاصرين لتلك الحقبة أو المتأخرين عنها، حيث نجد جل الكتابات التاريخية تتحدث عن الجانب السياسي، في حين أهملت الجوانب الأخرى الاجتماعية منها والاقتصادية، حيث جاءت الدراسات المتخصصة في هذا الميدان قليلة جدا خاصة موضوع العصبية القبلية والمصلحة الاقتصادية اللذان كان لهما دور أساسي في إشعال فتيل الصراعات القائمة بين ملوك الطوائف وإن وجدت فهي إشارات عابرة تحتاج إلى البحث والتنقيب إلا ما قام به الأستاذ أمحمد بن عبود في كتابه جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس هجري، حيث قام بتسليط الضوء على هذا الموضوع –العصبية القبلية والمصلحة الاقتصادية– وأفرد لكل جزئية منه فصلا كاملا تحد ث فيه بإسهاب وتفصيل وكشف عن الكثير من الجوانب المتعلقة به.

ودون الحديث عن الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا عبر مختلف مراحل إنجاز هذا البحث وخاصة أثناء جمع المادة العلمية فإننا سنقتصر على ذكر معوق أساسي اعترض سبيلنا ونعني بذلك قلة الدراسات التي تناولت موضوع العصبية القبلية والمصلحة الاقتصادية خلال هذه الفترة من تاريخ الأندلس.

إن الدافع الأساسي الذي حفزنا في دراسة هذا الموضوع هو الإجابة عن العديد من التساؤلات التي فرضت نفسها في هذا البحث خلال هذه الفترة من تاريخ الأندلس لذلك حاولنا أن نوجه جهدنا محاولين الإجابة قدر المستطاع عن إشكالية رئيسه لخصناها في التساؤل الآتي: عرفت الأندلس بتعدد أجناسها وكثرة أطيافها واختلاف أعراقها والتي كان لها دور بارز في الفتن والقلاقل التي شهدتها البلاد خاصة مع بدايات القرن الخامس هجري، والذي عرف باشتداد الصراعات والنزاعات بين مختلف عناصر المجتمع الأندلسي أدت إلى تغير

واقع البلاد من الاتحاد إلى الفرقة، ومن الاجتماع إلى التشتت لتكون نتيجته إلغاء الخلافة الأموية وزوالها وتشكل خارطة جديدة وقيام كيانات وتكتلات سياسية عديدة، إلى أي مدى! ساهمت العصبية القبلية والمصلحة الاقتصادية في إثارة الصراعات العصبية بين ملوك الطوائف؟

وقد اندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية عدة تساؤلات فرعية أخرى نذكر منها:

1. ما هي طبيعة العصبية القبلية التي أثرت في مسرح الأحداث في الأندلس خلال القرن 5هـ؟

2. ما هي الانعكاسات المترتبة عن سياسة الصراعات القبلية التي تحركها المصالح وتدفعها المطامح المادية على الواقع العام لبلاد الأندلس؟

3. ما هي آثار ونتائج الصراعات العصبية القائمة على المصلحة الاقتصادية على بلاد الأندلس في عهد الطوائف؟

4. وهل كان لهذه السياسة علاقة بنهاية وجود دول الطوائف كنظام سياسي فرض نفسه في بلاد الأندلس ما يقارب القرن من الزمن؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات والإشكالات اتبعنا خطه قائمة على مدخل، وثلاث فصول وخاتمة:

تناولنا بالدراسة في المدخل لمحة عن ظروف قيام دولة بني أمية في الأندلس إلى غاية سقوط الخلافة الأموية وقيام دول الطوائف، وما تخلل هذه الفترة التاريخية من أحداث ووقائع.

أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى الحديث عن العصبية القبلية واشتمل على مبحثين، المبحث الأول تحدثنا فيه عن ماهية العصبية القبلية وبعض المعاني المرتبطة بها،

أما المبحث الثاني فقد تكلمنا فيه عن طبيعة العصبية القبلية أسسها وأنواعها، وعوامل تعزيز قوة العصبية وضعفها.

أما الفصل الثاني فتناولنا الحديث فيه عن بنية الاقتصاد الأندلسي ومقوماته الزراعية والصناعية والتجارية، وما كانت تزخر به بلاد الأندلس من ثروات وإمكانيات في المجالات المذكورة سابقا، والتي كان لها دور في إذكاء نار الصراعات بين ملوك الطوائف.

أما الفصل الثالث والأخير فجاء بعنوان الصراعات العصبية بين ملوك الطوائف الأسباب والدوافع والآثار ونتائج، واشتمل هذا الفصل على مبحثين، جاء المبحث الأول مبينا أسباب تلك الصراعات التي كانت قائمة بين ملوك الطوائف والتي تنوعت بين أسباب عصبية قبلية ودوافع شخصية وطموحات مادية.

أما المبحث الثاني فبينا فيه أثار ونتائج هذه الصراعات والتي شملت كل مناحي الحياة في بلاد الأندلس في تلك الفترة، فلم يستثن جانب من الجوانب السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، والأخلاقية والعسكرية.

ولمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي في تسليط الضوء على الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذا العصر مع تحليل النصوص التاريخية وتفسيرها للوصول إلى بعض النتائج التي ارتأينا أن تكون خاتمة لبحثنا.

عرض وتحليل لأهم مصادر ومراجع البحث:

كتب التاريخ العام:

- **كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** لابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد، الذي يعتبر من أهم المصادر نظرا لما زخر به من معلومات، وروايات استقاها المؤلف من مصادر معاصرة لزمن البحث، ويتألف الكتاب من خمسة أجزاء وقد استفدنا من الجزء الثاني والثالث أكثر في هذا البحث.

- **كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام:** لمؤلفه محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني الغرناطي المعروف بلسان الدين ابن الخطيب المتوفي سنة 776هـ/1374م، يعتبر هذا الكتاب موسوعة للتاريخ العام للعالم الإسلامي، فقد أرخ للدول الإسلامية بالمشرق والمغرب، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول تناول فيه تاريخ المشرق من السيرة النبوة حتى عصر المماليك، والقسم الثاني تضمن تاريخ الأندلس الإسلامية مع موجز لتاريخ دول إسبانيا، وتضمن القسم الثالث تاريخ دول شمال إفريقية من أحواز برقة حتى محيط، ولقد اعتمدنا في بحثنا على القسم الثاني كونه احتوي على الكثير من المعلومات التاريخية التي تخص عصر دول ملوك الطوائف.

- **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب:** لعبد الواحد المراكشي يعد هذا المصدر من أهم المصادر التاريخية لعصر ملوك الطوائف، وقد أمدّ هذه الدراسة بمعلومات قيمة خاصة ظهور ملوك الطوائف بالأندلس، وبعض الجوانب من علاقة مملكة إشبيلية والممالك النصرانية في عصر ملوك الطوائف.

- **المقدمة:** لابن خلدون عبد الرحمن بن محمد وهو كتاب ألفه سنة (776هـ/1377م) كمقدمة لمؤلفه الضخم كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، فقد ولد ابن خلدون في تونس سنة 732هـ/1377م وتجول في أقطار المغرب، وارتحل إلى مصر التي مكث بها حتى وفاته سنة 808هـ/1406م، وهو ما أكسبه معرفة كبيرة بأحوال الشعوب والدول ونظم الحكم، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا بشكل كبير على كتابه هذا كقاعدة لموضوعنا وخاصة الفصول التي تحدث فيها عن العصبية والنسب القرشي وعن مقومات العصبية وعوامل تعزيزها وضعفها.

الكتب الأدبية:

- **كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لمؤلفه أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، المتوفي 542هـ/1148م، فرحلاته المتكررة بين مدن وأمصار الأندلس ومعاصرته لفترة ملوك الطوائف، بالإضافة إلى الظاهرة الاستقرائية التي تميز بها جعله يقدم لنا كتابه سنة 502هـ/1009م، بعد عدة سنوات من عصر ملوك الطوائف، مما جعله يقف على معظم

الأحداث التاريخية، والحيثيات بدقة متناهية في شرحها وتحليلها، القسم الأول يؤرخ فيه لأهل قرطبة وما بها، ويترجم فيه لعلماء قرطبة وما يجاورها أما القسم الثاني يؤرخ فيه لأهل الجانب الغربي من الأندلس وذكر أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط وترجم لعلماء إشبيلية وما جاورها.

القسم الرابع: أرخ فيه للداخلين إلى الأندلس من شعراء وكتاب ومعاصريه من بلاد إفريقية والشام والعراق.

– **كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب:** لمؤلفه المقري أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني ولد 986هـ وتوفي 1041هـ1632م، والذي يعد من أعظم الموسوعات التاريخية رغم أنه ألفه وهو بعيد عن موطنه إذ كان بالمشرق، فهو من المصادر الأساسية للباحثين في التاريخ الأندلسي، ويتكون من ثمانية أجزاء، اعتمدنا في هذا البحث على الجزء الأول.

كتب الحسبة:

– **آداب الحسبة:** لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي (ت631هـ/1234م): ويعرف أيضا بالمالقي نسبة إلى مدينة مالقة الأندلسية، والكتاب عبارة عن مجموعة من قضايا الحسبة قام المؤلف بترتيبها في أبواب كل باب خاص بفئة معينة من فئات التجار أو الصناع الذي تطبق عليهم نظم الحسبة في الأسواق، مثل الباب الخاص بالكيل والكيالين، والباب الخاص بالعطارين والصيادلة وأخرى في الصناع والصنائع فكل هذه المواضيع تصب في صميم البحث وقد أعطتنا صورة واضحة عن الأسواق وأنواع التجار والحرفين وغير ذلك، وما زاد من أهمية الكتاب أن صاحبه كان محتسبا يشرف على الأسواق وله علم بكل ما فيها من صغائر الأمور وكبائرها كما أنه أندلسي الأصل من أهل مالقة.

– **ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب:** لقد ضم ليفي بروفنسال في دراسته لوظيفة الحسبة والمحتسب ثلاث رسائل، فالأولى بعنوان رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة لمؤلفها ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي، والثانية بعنوان "رسالة في أداب الحسبة

والمحتسب" لمؤلفها ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله والثالثة بعنوان "رسالة في الحسبة لمؤلفها الجرسيفي عمر بن عثمان بن العباس"، وقد أفادتنا هاته الرسائل في تكوين فكرة شاملة عن الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية التي كانت تمر بها الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف.

كتب الجغرفيا والرحلات:

- **صورة الأرض:** ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت380هـ/990م) وهو من المصادر الهامة فقد ألفه صاحبه بدقة، ووصف فيه مشاهداته عن البلدان التي زارها، والتي منها الأندلس، وقد دون كل ما رآه فيها، واصفا مدنها ومسالكها ومسافاتها، وأنهارها وثرواتها وكتاب صورة الأرض طبع مرتين في ليدن، نشر في طبعته الأولى باسم "المسالك والممالك"، والمفاوز والمهالك"، ثم حسنت طبعته ونشرت ثانية بعنوان "صورة الأرض" وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث، وقد أفادنا فيما يخص ذكر الحركة التجارية في الأندلس، والأسواق والطرق التجارية وغيرها.

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله الحمودي (حوالي 560هـ/1166م)، واعتمدنا في بحثنا على الجزء المتعلق بالأندلس اعتمادا كبيرا، فالإدريسي يبرز من خلال المعلومات التي يوردها الكثير من مظاهر الحياة الاقتصادية بالأندلس، مثل المرافق التجارية كالأسواق والفنادق والثروات الطبيعية الموجودة بالمدن الأندلسية وكذلك الصناعات، وهذا ما يجعل هذا الكتاب ذو أهمية كبيرة لأن الإدريسي يعد شاهد عيان لكونه قد زار معظم المناطق التي يذكرها.

- **الروض المعطار في خبر الأقطار:** الحميري محمد بن عبد المنعم (ت727هـ) هذا الكتاب عبارة عن معجم جغرافي رتبه على حروف المعجم ليسهل على القارئ كشف اسم الموضع الذي يريده، أورد فيه أماكن ومدن العالم الإسلامي وغير الإسلامي المشهورة، أو المرتبط ذكرها بواقعة تاريخية أو حدث هام، لذا نجده يذكر لنا من المدن الأندلسية أكثرها أهمية وشهرة، وهو يصف لنا هذه المدن والأماكن ذاكرا موقعها وخصائصها الجغرافية والاقتصادية وهو الأمر الذي أفاد بحثنا كثيرا.

المراجع الحديثة:

فقد كانت الاستفادة منها حسب مقتضيات البحث ومنها على سبيل الذكر:

- **دول الطوائف:** لمحمد عبد الله عنان وهو كتاب ضخم جاء ضمن سلسلة دراسات لدولة الإسلام في الأندلس، اعتمد فيه على مختلف المصادر الإسلامية المطبوعة وبعض المصادر الأخرى التي كانت آنذاك مخطوط، كما استند في كتابه على العديد من المصادر والدراسات الأجنبية وساعده في ذلك تحكمه في اللغة الإسبانية، والكتاب عموما ذو أهمية بالغة للمهتمين بالتاريخ الأندلسي في عصر ملوك الطوائف.

- **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري:** لـ أمحمد بن عبود والكتاب عبارة عن أربع دراسات مترجمة إلى اللغة العربية، وقد جاءت هذه الدراسات وهي تركز أكثر على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي الأندلسي خلال عصر ملوك الطوائف وقد اشتمل الكتاب على أربعة فصول تحدث فها الكاتب في الفصل الأول عن التركيب الاجتماعي لبلاد الأندلس في عهد الطوائف ودور العصبية القبلية في تباين فئات المجتمع الأندلسي ، أما في الفصل الثاني فيتحدث فيه عن خصائص الاقتصاد الأندلسي في عهد الطوائف والمشاكل التي كان يعانيها الاقتصاد الأندلسي في تلك الفترة.

أما الفصل الثالث، فأبرز فيه الكاتب دور علماء الأندلس السياسي والثقافي والفكري من سياسة بعض ملوك الطوائف مع ضرب بعض الأمثلة عن العلماء الذين كانت لهم مواقف متميزة ضد هذه السياسات، في حين كانت خاتمة الفصول الأربعة في الحديث عن الميراث الثقافي والفكري الأندلسي وأبرز الشخصيات العلمية والفكرية والثقافية في تلك الفترة.

- **كتاب العصبية والملك:** لمحمد عابد الجابري، وكتاب **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي** لخالد بن عبد الرحمن الجريسي، وكتاب **العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني،** لبوزياني الدراجي وهي مراجع تتكلم بإسهاب عن العصبية وأنواعها ودورها والعوامل المؤثرة فيها.

مدخل

لمحة عن دولة بني أمية بالأندلس إلى غاية

حقوقهم وقيام حكم ملوك الطوائف

- **الإمارة الأموية في الأندلس 138-316هـ /756-929م:**

انتشرت الفوضى والقلاقل في الأندلس في عصر الولاة، وعاشت البلاد في فتن وحروب، غذّتها العصبية القبلية، وأذكى نيرانها الخلفاء الأمويون بشكل واضح لتفضيلهم لليمينة[1] حينا، وتشجيعهم للمضرية[2] حينا آخر، وازدادت الأمور سوءا تزامنا مع تدهور الأوضاع السياسية للخلافة الأموية بدمشق، التي كانت تشهد أيام احتضارها على يد العباسيين، الذين استطاعوا القضاء على الأمويين بعد سلسلة من الحروب والمعارك كان آخرها معركة الزاب في الـ 11 جمادى الثانية 132هـ/ 750م، والتي هزم فيها الخليفة الأموي مروان بن محمد على يد العباسيين الذين تمكنوا من دخول دمشق في الـ 25 رمضان 132هـ/ 750م[3] ليجهزوا على من تبقى من أمراء بني أمية، باستثناء أمير واحد تمكن من الفرار إلى المغرب، ثم الأندلس التي كانت تشهد النزاعات الداخلية، والصراعات القبلية، وهو عبد الرحمن بن معاوية حفيد الخلفية هشام بن عبد الملك بن مروان[4].

استغل عبد الرحمن بن معاوية الملقب "بالداخل"[5] فرصة الخلاف، والصراع القبلي بين القيسية واليمنية، وعمل على استرداد ملك أجداده بني أمية السليب[6] فعبر مضيق جبل

---

[1]- اليمنية: من القبائل العربية العظيمة، يرجع نسبهم إلى يمن بن قحطان وسموا باليمنية نسبة إلى أن العرب كانوا بمكة فتيا من بنو يمن في ناحية فسموا بذلك، استوطنوا اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، مج5، ص ص: 510-511.

[2]- المضرية: هي مجموعة من القبائل العربية يقال لهم مضر السوداء، وينتسبون لقيس عيلان مضر بن نزار بن معد بن عدنان اشتهرت بنزاعها مع القبائل القحطاينة اليمنية طيلة التاريخ الإسلامي وتضم عدة فروع أهمها، هوزان عطفان. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي روفنسال، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص: 09.

[3]- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1960، ج09، ص: 13.

[4]- عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ك1، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، د.ت، ص: 107.

[5]- عبد الرحمن بن معاوية: ابن هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة 113هـ دمشق، وتوفي سنة 172هـ بقرطبة، تولى إمارة الأندلس سنة 138هـ، دامت مدة إمارته 33 سنة، لقب بالداخل، وبصقر قريش، خلف أحد عشر ذكر وتسع إناث، أعاد بعث الخلافة الأموية بالأندلس وأسس بها إمارة أموية استمرت لأكثر من قرنين من الزمن. ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013، مج2، ص ص: 55-56.

[6]- عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دط، 1990، ص: 60.

طارق نحو الأندلس[1]، بعد أن أيقن من كثرة أنصاره إثر الدعوة التي بثها ودعا لها مولاه بدر بين اليمنية الذين كانوا يتمنون الخلاص من يوسف الفهري[2] زعيم القيسية، ووالي الأندلس في تلك الفترة[3].

في سنة 138هـ/756م في غرّة ربيع الأول وصل الداخل عبد الرحمن بن معاوية إلى طرش[4]، واستقر بها ينظم دعوته، ويهيأ أنصاره، لتتحول إلى قاعدة ومعسكر للأمويين[5]، ولما ولما قوى أمره وعظمت شوكته، سار من طرش إلى ريه[6]، فبايعه أهلها ثم إلى أرشذونه[7]، فدانت لطاعته، ثم إلى إشبيلية[8]، فبايعه أهلها وكان أكثرهم من اليمنية، فذاعت دعوته في غرب الأندلس، وجنوبها وأقبلت إليه الجموع المتطوعة من المضريه واليمنية وأهل الشام، وواصل تقدمه نحو قرطبة إلى أن وصلها في أوائل ذي الحجة سنة 138هـ /756م[9].

---

[1]– عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 107.

[2]– يوسف الفهري: عبد الرحمن بن حبيب، جده عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب دخل أبوه الأندلس في جيش بلج بن بشر، تولى يوسف إمارة أربونة في ولاية عبد الملك بن قطن، اختاره أهل الأندلس لولايتها سنة 129هـ، بدعم من حليفه الصميل بن حاتم، دارت بينه وبين عبد الرحمن الداخل معارك، انهزم فيها وقتل على يد عبد الله بن عمر الأنصاري. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تح: بوباية عبد القادر، دار أبي رقراق، المغرب، د.ط، 2005، ص: 28.

[3]– عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص: 61.

[4]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، مج2، ص: 35.

[5]– ابن عذارى، المصدر نفسه، مج2، ص ص: 66–68.

[6]– ريه: بالإسبانية Rayya، هي إحدى الكور التي كانت تتشكل منها الدولة الأموية في الأندلس، وقاعدتها ومنزل ولاتها كانت مدينة أرشذونة ومن مدنها مالقة وماربيا. وقد ذكر الحميري أنها كانت منزل جند الأردن بعد فتح الأندلس. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص: 25. شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1936، ج1، ص: 74.

[7]– أرشذونة: تقع في بطن وادي تحيط بها الجبال من كل جانب، تبعد عن مالقة 35 ميلا، كانت من القواعد الجنوبية الخصبة التابعة لابن حفصون الذي قاد ثورة طويلة ضد الأمويين، كانت تابعة لمملكة غرناطة، سقطت في يد القشتاليين بعد سقوط مالقه سنة 892هـ. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 25. شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص: 821.

[8]– إشبيلية: تقع على سهل نهر الوادي الكبير، معناها لم تتخل لي، فتحها موسى بن نصير في شعبان من سنة 94هـ وولى عيسى بن عبد الله الطويل عليها، أمر عبد الرحمن الثاني ببناء دار لصناعة السفن بها، وكانت مرسى الأسطول سميت بـ حمص نسبة لنزول جند الشام فيها، من أشهر حكامها في عهد دول الطوائف المعتمد بن عباد. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 58. شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص: 855.

[9]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص: 61.

في 10 من ذي الحجة 138هـ/756م التقى الداخل ويوسف الفهري والصميل بن حاتم[1]، ودارت بينهم معركة حامية عرفت في التاريخ بموقعة "المصاره"[2] هزم على إثرها يوسف الفهري وجيشه شر هزيمة، وقتل في هذه المعركة الكثير من وجوه القيسية والفهرية، ودخل عبد الرحمن الداخل مدينة قرطبة، وصلى الجمعة في مسجدها الجامع، وبايعه الناس بالإمارة[3]، وهو في سن السابعة والعشرين من عمره، لتصبح الأندلس إمارة أموية، وراثية في عقبه، مستقلة عن الخلافة العباسية[4]، لتستمر حوالي القرنين من الزمن (138هـ-316هـ/ 756-929م) تعاقب على إمرتها ثمانية أمراء هم: عبد الرحمن الأول "الداخل: (138هـ 172هـ)، هشام الأول "الرضا" (172هـ180هـ) [5]، الحكم الأول الربضي (180هـ/ 206هـ)[6]، 206هـ)[6]، عبد الرحمن الثاني "الأوسط [7] (206هـ 238هـ).

---

[1]- الصميل بن حاتم، بن عمر بن جذع بن شهر بن ذي الجوشن يرجع نسبه إلى بنو كلاب بن ربيعة من قبيلة هوازن جده شهر بن ذي الجوشن أحد قتله الحسين بن علي، كان في جند قنسرين تحت إمرة كلثوم بن عياض الذي بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك واليا على إفريقيا، أصبح زعيما لقبائل مصر بالأندلس، وكان بمثابة الوزير ليوسف الفهري ، تولى سرقسطة، ثم طليطلة في عهده. قتل في السجن سنة 142هـ. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص: 57.

[2]- معركة المصّارة: أو المسارة هي معركة وقعت بين يوسف بن عبد الرحمن الفهري آخر ولاة الأندلس وعبد الرحمن بن معاوية أول أمراء الأندلس، كانت في 09 ذي الحجة سنة 138هـ، وانتهت بانتصار عبد الرحمن بن معاوية، وفرار يوسف الفهري، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص: 56. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 40.

[3]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص: 62.

[4]- عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 108.

[5]- هشام الأول: (139هـ 180هـ): ابن عبد الرحمن الداخل ثاني أمراء الدولة الأموية في الأندلس لقب بهشام الرضا، تولى الإمارة بعد وفاة أبيه الداخل، تولى إمارة ماردة في حياة أبيه، قام بعدة غزوات ضد الفرنجة، عبر جبال البرانس، واجتاح سبتمانيا، هزم جيش ألفونسو الثاني ملك أستورياس وعاد بالغنائم وفي صفر 180هـ توفي هشام بن عبد الرحمن الداخل ودفن في قصر قرطبة. ابن عذارى، المصدر السابق، مج 2، ص: 65.

[6]- الحكم الأول الربضي: أبو العاص الحكم بن هشام (154هـ206هـ) ثالث أمراء الدولة الأموية في الأندلس، عرف بلقب بلقب الربضي، بويع له بالإمارة في صفر 180هـ، استهل حكمه عام 180هـ، بتوجيه حملة عسكرية بقيادة عبد الكريم بن مغيث لغزو ألبة والقلاع عاد محملا منها بالغنائم، قمع ثورة أهل قرطبة المعروفة بـ وقعة الربضي التي كادت تسقط عرشه، بعد هذه الوقعة مرض مرضا شديدا مدته 4 سنوات، عهد بولاية العهد لابنه عبد الرحمن، توفي الحكم الربضي في 26 من ذي الحجة 206هـ، ودفن بالقصر. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 69-70-77.

[7]- عبد الرحمن الثاني: (176هـ 238هـ): أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم الملقب بعبد الرحمن الأوسط، وتذكره المصادر التاريخية باسم عبد الرحمن الثاني، هو رابع أمراء الدولة الأموية في الأندلس، تولى حكم الأندلس بعد وفاة أبيه سنة 206هـ، كان محبا لحياة الأبهة والثراء، عاشقا للفنون والآداب، اهتم بنواحي العمران والزراعة، كان له الدور في إنشاء

محمد الأول[1](238هـ 273هـ)، المنذر بن محمد[2](273هـ 275هـ)، عبد الله بن محمد[3] (275هـ 300هـ) عبد الرحمن الثالث [4] "الناصر" (300هـ 350هـ)، وهذا الأخير تمكن من تحويل الإمارة إلى خلافة أموية سنة 316هـ.

الخلافة الأموية بالأندلس 316هـ 399هـ:

تولى عبد الرحمن الثالث إمارة الأندلس سنة 300هـ 912م بعد وفاة جده الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني، دون أعمامه الذين آثروه على الحكم لسوء الأحوال واضطراب الأمور في الإمارة، مما جعلهم يزهدون في الإمارة التي كانت محفوفة بالمخاطر، فتنازلوا عنها لذلك لابن أخيهم عبد الرحمن الثالث[5].

=أول أسطول حربي كبير في الأندلس، أقام علاقات دبلوماسية مع الإمبراطور البيزنطي تيوفيلوس، وملك النورمان ابن قوطية، تاريخ افتتاح الأندلس ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، دط، 1989، ص ص: 78-82.

[1]- محمد الأول: (207هـ 273هـ): أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن خامس أمراء الدولة الأموية في الأندلس، حكم الأندلس لـ 35 عاما، قضاها في مقاومة الثورات والفتن، ولد سنة 207هـ، ولاّه أبوه على سرقسطة، ناب أباه في مقابلة رسل ملك الافرنج، شارك في إخماد عدة ثورات كثورة موسى بن موسى في تطيلة، تولى إمارة الأندلس بعد وفاة أبيه سنة 238هـ، توفي سنة 273هـ، ودفن بقصر قرطبة. مؤلف مجهول، مفاخر البربر، المصدر السابق، ص: 131. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 105.

[2]- المنذر بن محمد: (273هـ 275هـ): أبو الحكم المنذر بن محمد، سادس أمراء الدولة الأموية في الأندلس، حكم الأندلس لمدة عامين خلفا لوالده محمد بن عبد الرحمن، شارك مع أبيه في عدة معارك، وفي عام 273هـ بينما هو محاصرا لبعض الثائرين في كورة رية أتاه خبر وفاة أبيه، فعاد إلى قرطبة وبويع بالإمارة في ربيع الأول عام 273هـ توفي المنذر في غزاة له على ببشتر في 15 صفر 275هـ، ودفن بقصر قرطبة. ابن عذارى، المصدر نفسه، مج2، ص ص: 113-114.

[3]- عبد الله بن محمد: (229-300هـ): أبو محمد عبد الله بن محمد، سابع أمراء الدولة الأموية في الأندلس، حكم الأندلس لـ 25 عاما قضاها في مقاومة الثورات والاضطرابات المتلاحقة في عهده، استعمله أبوه في قيادة بعض الحملات، بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه المنذر سنة 275هـ، اتهمه بعض المؤرخين بقتل أخيه المنذر التهب عهده بالثورات حتى انحصرت سلطته بقرطبة وما حولها، انهزم أمام ألفونسو في معركة سمورة 288هـ توفي الأمير عبد الله غره ربيع الأول سنة 300هـ، ودفن بقصر قرطبة. ابن عذارى، نفسه، ج2، ص ص: 105-150.

[4]- عبد الرحمن الثالث: (277هـ 255هـ): أبو المطرف الناصر لدين الله، ثامن حكام الدولة الأموية في الأندلس، وأول خلفاء قرطبة تولى الحكم سنة 300هـ، بعد وفاة جده، أعلن نفسه خليفة للأندلس سنة 316هـ، استطاع إخماد الثورات خاصة ثورة ابن حفصون، قام بعدة غزوات ضد المسيحيين في قشتالة ونافارا سنة 316هـ، هزم في معركة الخندق سنة 327هـ، ضد المسيحيين، يعتبر عصره من أزهى عصور الأندلس في كل المجالات، وفي الثامن من رمضان سنة 350هـ، توفي الناصر لدين الله. ابن عذارى، نفسه، مج2، ص ص: 158-184-185.

[5]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 168.

تقلد الأمير الصغير عبد الرحمن الثالث حكم الأندلس، وجلس على كرسي الحكم يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة 300هـ/912مـ، فبايعه أعمامه وإخوة جده[1]، وابتدأ عهده بإصدار مرسوم عام إلى جميع الثور المستقلين بأقاليمهم عن الإمارة بقرطبة، للدخول في طاعته، والعودة إلى الوحدة والجماعة، واعدا من قبل وأجاب بالمال والسلطان متوعدا من رفض بالحرب والتشريد[2].

سارع الكثير من الثوار إلى إجابة دعوة الأمير عبد الرحمن الثالث، والدخول في طاعته، ولم يبق إلى أقلية صغيرة مثل بني حفصون الذين قضى عليهم وعلى ثورتهم سنة 303هـ/915م، خصوصا بعد موت زعيمهم عمر بن حفصون[3].

وهكذا لم تمض إلا سنوات قليلة حتى استطاع عبد الرحمن الثالث من توحيد البلاد، وإعادة الوحدة السياسية للأندلس، والتي لم تلبث أن تحولت على يديه من إمارة إلى خلافة سنة 316هـ 929م ولقب نفسه بالناصر لدين الله[4] أمير المؤمنين.

يروي ابن عذارى: "أنه في سنة 316هـ رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطباته، والمخاطبة له في جميع ما يجري ذكره فيهن بأمير المؤمنين فعهد إلى الخطيب أحمد بن بقي، صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة بحاضرة قرطبة يوم الجمعة مستهل ذي الحجة، ونفذت الكتب إلى العمال بذلك"[5].

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 164-165.

[2]–أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 168.

[3]– عمر بن حفصون: بن عمر بن جعفر دميان ينتمي لأسرة من المولدين قوطية الأصل قرب باروانا، ألف جماعة، وعصابة ونزل بجبل ببشتر، قام بثورة في عهد محمد بن عبدى الرحمن في كورة رية، سيطر على عدة مناطق، وقلاع وحصون، طلب الصلح في سنة 303هـ، من الأمير عبد الرحمن الثالث وتبادل الهدايا معه، مات في ربيع الأول عام 306هـ. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 135-155.

[4]– عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 158.

[5]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 183.

- **بنو عامر واغتصاب الخلافة:**

استمرت الخلافة قائمة إلى وفاة عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ 961م، لتبدأ مرحلة سيطرة الحجاب "الوزراء" على الخلافة، وكأن هذه الخلافة ارتبطت باسمه فقط، لأن خليفته ابنه الحكم الثاني "المستنصر بالله"، أعطى ومنح حاجبه جعفر بن عثمان المصحفي صلاحيات واسعة لتؤول السيطرة التامة للحاجب المنصور بن أبي عامر، ثم إلى ولديه عبد الملك المظفر وعبد الرحمن "شنجول"، وبعد خمس سنوات من وفاة الحكم الثاني سنة 366هـ/ 976م تحولت السلطة الزمنية والفعلية إلى ابن أبي عامر، والذي توج نفسه بلقب المنصور" سنة 371هـ /981م، واستبد بإدارة شؤون البلاد على الخليفة الشرعي هشام بن الحكم[1]، "المؤيد" الذي لم يكن يحمل من الخلافة إلا اسمها، وسلطتها الروحية.

استمرت الأسرة العامرية في الحكم طيلة ثمان وعشرين سنة (371هـ 399هـ/ 981-1009م)، فكان حكمهم بذلك يشبه ما قام به البويهيون والسلاجقة من استبدادهم بالخلافة العباسية ببغداد، وما قامت به أسرة بدر الجمالي، والتي سيطرت على الخلافة الفاطمية بالقاهرة[2]، وكأن الأمر سيطرة الوزراء على الخلافة، أصبح تقليدا تسير عليه أصول السياسة والحكم في العالم الإسلامي في العصر الوسيط، لاشك أن ما قم به المنصور بن أبي عامر كان مقدمة لنهاية الخلافة الأموية بالأندلس، لاسيما بعد أن طمع ابنه عبد الرحمن "شنجول" في الخلافة نفسها، فأقدم على أمر خطير لم يقدم عليه أبوه ولا أخوه من قبله، وهو إرغام

[1]- هشام بن الحكم: (355هـ403هـ): أبو الوليد هشام المؤيد بالله عاشر الحكام الأمويين للأندلس، وثالث خلفائهم في قرطبة خلفه أبوه خليفة سنة 366هـ، وهو في سن الثانية عشر تحت وصية أمه والحاجب المنصور بن أبي عامر وجعفر المصحفي، سلب الخليفة هشام الحكم من المنصور أبي عامر ومن بعده أبناؤه عبد الملك، وعبد الرحمن شنجول الذي وصل إلى أبعد ذلك حيث ضغط على الخليفة ليعينه وليا للعهد خاصة أن هاشما لم يكن له ولد وهو ما تم له مما أثار حفيظة أمراء بني أمية الذين انقلبوا على عبد الرحمن شنجول وقتلوه سنة 399هـ، وأجبروا الخليفة هشاما بالتنازل عن الخلافة وبايعوا بدله محمد بن هشام ليصبح خليفة الأندلس والذي لقب بالمهدي بالله، اختلفت الروايات في مصيره فهناك من قال بأن سليمان المستعين حبسه لفترة ثم قتله ابنه محمد بن سليمان وقال آخرون بأنه فرّ إلى ألمرية وعاش متخفيا حتى وفاته. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 249-250.

[2]- أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 253.

الخليفة هشام المؤيد على إصدار مرسوم يقضي بتعيينه ولي عهد له، ففعل ذلك هشام معه لضعفه، وسوء نظره، ونقصان فطرته فولاه عهده[1].

أشعل هذا القرار نفوس أهل قرطبة الذين كانوا حاقدين على العامريين وازداد غضبهم وحنقهم على شنجول الذي تمادى في طغيانه، خاصة بعد تدخله في خاصة أمورهم، حيث أرغمهم أثناء تهنئتهم له بالحجابة على خلع قلانسهم الطوال المرقشة التي كانوا يباهون بها الرعية، وأهل المملكة وأمرهم بارتداء العمائم المغربية، وتوعدهم على التفريط في ذلك بالعقوبة[2].

لقد أثارت هذه التصرفات حفيظة الأمويين وعصبتهم، وهزتهم هذه الأفعال هزا عنيفا، وحزّ في نفوسهم أن تنتقل مقاليد الدولة والخلافة إلى العامريين، وتبتعد عن المضريين، فثارت ثائرتهم، وانبعثت العصبية القبلية من جديد ويؤكد ذلك وصف ابن عذارى لهم بقوله: "وكانت عندهم أعظم محنة كلهم يعزي نفسه، ويكفكف عبرته...واهتبل بنو مروان وشيعتهم بالبلد غرّة العامريين فيما ارتكبوه فدبت عقاربهم إلى الناس وقاموا في قلب الدولة العامرية بجد وبصيرة فلم يخذلهم الناس وظفروا بالبقية"[3].

ثورة قرطبة وبداية الفتنة الكبرى:

في سنة 399هـ/1009م، خرج عبد الرحمن "شنجول" إلى غزو قشتالة ليكسب ودّ وتأييد أهل قرطبة، ولتدعيم مركزه المهلهل، ورغم نصيحة أحد أتباعه ومقربيه "مولاه" واضح له بعدم الخروج والغزو لاضطراب الناس، وعزم رجال من المرونيين الانقلاب عليه، إلا أنه أعرض عن النصيحة، واستهان بالأمر وقال: "والله لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي وأنا نائم لما أيقظوني..." [4].

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 323.

[2]– المصدر نفسه، مج2، ص: 329.

[3]– نفسه، مج2، ص: 329.

[4]– لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما تعلق بذلك من الكلام، تح: سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2، ص: 92.

فلما بلغ طليطلة وصل إليه خبر أن محمد بن هشام بن عبد الجبار[1] قد اقتحم قصر الزهراء بقرطبة، واستولى على ما فيه، وأرغم هشام المؤيد على التنازل له على الحكم، ولقب نفسه "بالمهدي بالله"، فها له الأمر وأمر بضبط الصفوف، وأخذ الأيمان المغلظة على قادة جنده أن يقاتلوا معه"[2].

وكان كلما اقترب من قرطبة انفض عنه جماعة من جيشه، فلما بلغ مشارفها أخرج إليه المهدي حاجبه "ابن دري" وقد فرّ عنه الناس[3] فقام باعتقاله وحزّ رأسه وحمله إلى المهدي.

بموت عبد الرحمن شنجول تنتهي دولة بني عامر سنة 399هـ/ 1009م، وتعود مقاليد الحكم إلى الأمويين، وفي هذا دلالة واضحة على تعلق الناس بالخلافة وتعصبهم، وحرصهم على أن تكون من قريش.

- **الفتنة الكبرى "الفتنة البربرية":**

ما إن تم القضاء على العامريين وحكمهم، واستتم الأمر للمهدي، حتى أخفى هشاما المؤيد، وأشاع موته[4]، وضيق الخناق على أبناء عمومته، وقام بسجن بعضهم ممن لا يأمن جانبهم حتى يقضى على كل محاولة ضده مستقبلا[5]، ثم أساء إلى البربر وأعلن الحرب عليهم فخرب بيوتهم، ونهب ممتلكاتهم، وساعده في ذلك العامة من أهل قرطبة الذين كانوا يكرهون البربر، ويكنون لهم الحقد والعداء[6].

---

[1]- محمد بن هشام بن عبد الجبار: الخليفة الرابع للدولة الأموية، لقب بالمهدي تولى الخلافة مرتين، مرة في سنة 399هـ، بعد خلع الخليفة هشام المؤيد بالله، إثر ثورة قام بها في قرطبة ضد عبد الرحمن شنجول، والمرة الثانية في سنة 400هـ بعد سليمان المستعين، عرف عهده ثورات عدة خاصة مع البربر الذين انهزم أمامهم في معركة وادي "آره" سنة 400هـ، وفي 08 ذي الحجة قام أحد فتيانه بقتله سنة 400هـ. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 333-370.

[2]- ابن عذارى، المصدر نفسه، مج2، ص: 332.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، مج2، ص: 92.

[4]- محمد عبد الله عنّان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997، ص: 644.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 333.

[6]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 106.

كانت نتيجة هذه الأعمال، اتجاه البربر أن ثاروا على المهدي وأعلنوا الحرب ضده، والتفوا حول هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الذي تلقب بـ "الرشيد" لكن المهدي هزمه وقلته، تم قام بمذبحه عظيمة ضد البربر داخل قرطبة فاضطروا للخروج منها نحو الثغر[1]، ليلتفوا من جديد حول سليمان بن الحكم[2]، وعقدوا له البيعة، وتسمى المستعين بالله في شعبان 399هـ/ 1009م[3].

معركة قنتيش:

في يوم الجمعة الثالث عشر ربيع الأول سنة 400هـ/ 1009م التقى المهدي وجيشه، وسليمان المستعين الذي يعتمد على جيش البربر، المدعوم من طرف الملك شانجه بن غرسيه وقد حلت الهزيمة بالمهدي فهرب إلى طليطلة التي كانت ما تزال موالية لها وقتل يومئذ من داخل قرطبة قرابة 30 ألفا، في حين دخل سليمان المستعين قصر قرطبة يوم الاثنين 16 ربيع الأول400 هـ/ 1009م وبويع له بالخلافة في اليوم التالي[4].

تمكن المهدي من إعادة حشد جيشه بفضل وقوف أهل طليطلة، ودعم نصارى برشلونة له وزحف بجيشه نحو قرطبة، فلما وصل إلى "عقبة البقر" بالقرب من قرطبة التقى مع سليمان المستعين وجيش البربر لتحل الهزيمة بالثاني، واستولى المهدي على قرطبة ودخلها ثانية"[5].

بعد أيام خرج المهدي إلى مطاردة البربر، والتقى بهم بواد "أرو"، لكن الهزيمة كانت من جانبه في السادس ذي القعدة 400هـ/1010م، وقتل من النصارى حلفاؤه نحو 3000 مقاتل، فعاد خائبا إلى قرطبة وحاول التحصن بها من غارات البربر، فقام أحد فتيانه يدعى "واضح الفتى" بالوثوب عليه وقتله داخل قصره في 08 من ذي الحجة 400هـ /1010م[6].

---

[1]– عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 204.

[2]– المرجع نفسه، ص: 204.

[3]– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 107.

[4]– المصدر نفسه، ص: 107.

[5]– محمد عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 648.

[6]– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 108.

الفتنة البربرية:

بعد مقتل المهدي عادت الخلافة إلى هشام المؤيد، وجدد له الناس البيعة فبعث إلى البربر يدعوهم إلى الدخول في طاعته، والكف عن أعمال الحرب، ولكنهم رفضوا لما لقوا من أهل قرطبة، وواصلوا أعمال النهب، والحرق، والإغارة وتمكنوا من دخول مدينة الزهراء في 23 ربيع الأول 401هـ/ 1010م[1]، وخربوها، ونهبوا ما كان فيها من أموال وأقوات، ثم رحلوا عنها إلى "مالقة" وعاثوا فيها فسادا، ثم مالوا عنها إلى "ألبيرة" فنهبوا وخربوا وسبوا"[2].

لما اشتد الحال بأهل قرطبة عزموا الخروج لقتال البربر، ولكن قصرت بهم المؤن والعدة، وتخاذل البعض منهم، مما شجع البربر على الزحف إلى قرطبة وحصارها، خاصة بعدما عظمت شوكتهم بانضمام أهل البوادي إليهم مما اضطر أهل قرطبة إلى إرسال كتب باسم هشام المؤيد إلى البربر يستعطفونهم في قطع الفتنة، والجنوح إلى السلّم، والصلح، وإقرارهم على تعيين سليمان بن الحكم ولاية العهد[3].

رفض البربر الصلح، وتجهزوا للقتال، فخرج إليهم أهل قرطبة يوم الأحد الرابع من شوال سنة 403هـ/1012م في جموع عظيمة لقتالهم، ولكنهم هزموا هزيمة شنيعة، وتقدم البربر نحو قرطبة، ففتحت لهم الأبواب، وتلقاهم الفقهاء والقاضي "ابن ذكوان" طالبين منهم الأمان مقابل أموال عظيمة يؤدونها إليهم، فقبل البربر بذلك ودخل سليمان المستعين قصر قرطبة يوم الاثنين الـ 27 من شوال 304هـ/ 1014م، وتولى الحكم بعد خلعه لهشام المؤيد، فخمدت الفتنة وكف البربر عن أهل قرطبة[4].

---

[1]– عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 32.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 372.

[3]– المصدر نفسه، مح2، ص: 377.

[4]– نفسه، مج2، ص ص: 379–382.

إن هذه الأحداث، والصراعات على السلطة، والفتن، فتحت الباب على مصراعيه للطامعين في الخلافة بقرطبة، فهذا علي بن حمود[1]، الذي عينه وولاه المستعين إقليم سبتة، زينت له نفسه الطمع في الحكم، فزحف إلى قرطبة، ولما دخلها اعتقل سليمان المستعين، وقتله انتقاما منه لقتله هشاما المؤيد[2]، وبذلك دخلت الأندلس في مرحلة حكم جديدة من فترة الحموديون.

توالى الحكام الحموديون[3] على السلطة بعد مقتل علي بن حمود في أواخر سنة 408هـ/1017م وسار فيهم حال الفوضى، والانقسام، والقتل، والخلع، وتصارعت العناصر المختلفة في قرطبة كالبربر، والصقالبة[4]، والعامة من أهلها، وخربت فيها مدن عامرة كالزهراء، والزاهرة، ويكفي للدلالة على عظم الفتن، وحال الفوضى التي وصلت إليها البلاد وخاصة العاصمة قرطبة أن عدد الخلفاء الذين حكموا البلاد في هذه الفترة 414هـ422هـ/ 1023-1031م، كان يزيد على عدد الخلفاء الذين حكموا منذ بداية الإمارة الأموية في الأندلس[5].

---

[1]- علي بن حمود: بن ميمون بن حمود، يرجع نسبه إلى علي بن ابي طالب رضي الله عنه، أول ملوك بني هاشم بالأندلس تلقب بالناصر دامت خلافته سنة وتسعة أشهر بويع بالخلافة سنة 407هـ ولكن قتل سنة 408هـ. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 385.

[2]- عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 205.

[3]- الحموديون: ينتسبون إلى أسرة من الأدارسة نازعت الأمويين على الخلافة بالأندلس، واستطاعوا الاستيلاء على الخلافة سنة 407هـ، بمساعدة البربر، وكان أول حكامهم علي بن حمود (407هـ أواخر 408هـ) ثم خلفه القاسم بن حمود (409هـ 412هـ) ثم يحيى بن علي (412هـ 413هـ)، ثم القاسم بن حمود مرة ثانية (413هـ 414هـ) الذي ثار عليه أهل قرطبة لسوء إدارته ولتسلط البربر، وأعيدت الخلافة إلى بني أمية. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 386-388. عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص ص: 205-206.

[4]- الصقالبة: عبيد وأرقاء أصلهم من سلاف، أصبحوا أحد عناصر المجتمع الأندلسي، قويت شوكتهم في عهد عبد الرحمن الناصر الذي انتهج سياسة الإكثار والاعتماد عليهم للخدمة، وللتقليل من سطوة العرب، انتهت شوكتهم في عهد المنصور بن أبي عامر. دويدار حسن يوسف، عناصر السكان في الأندلس، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، دط، 1994، ص ص: 64-65.

[5]- مختار أحمد العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 254.

إلغاء الخلافة الأموية وبداية عصر الطوائف:

في سنة (422هـ 1031م) عزل أهل قرطبة آخر الخلفاء وهو هشام الثالث المعتد بالله الذي لم تدم خلافته سوى سنتين وسبعة أشهر، وهتفوا بإبطال الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقها، وقرروا نفي المروانية وألا يبقى واحد منهم بالقصر[1] ولا بقرطبة وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكنفهم أحد"[2].

وفي تلك الأثناء اجتمع شيوخ قرطبة والوزراء برئاسة أبي الحزم بن جهور الذي أعلن إنهاء رسم الخلافة، وقام بإلغائها نهائيا في 12 من ذي الحجة 422هـ/1031م، وهكذا تحول الحكم في قرطبة إلى نظام شبيه بالحكم الجمهوري عرف في التاريخ بحكم الجماعة[3].

لقد نتج عن إلغاء الخلافة بقرطبة أن انقسمت البلاد إلى دويلات وممالك صغيرة، متناحرة، واستقل كل أمير أو وال بإقليمه وولايته معلنا نفسه ملكا، فدخلت البلاد بذلك في عصر جديد هو "عصر ملوك الطوائف".

جاء إعلان إلغاء الخلافة في قرطبة سنة 422هـ 1031م، فرصة سانحة ليستقل كل وال أو أمير بولايته أو إقليمه، ويؤسس لنفسه إمارة، أو مملكة، أو دويلة فانقسمت بذلك الأندلس إلى عدة ممالك، ودويلات متناثرة ومتطاحنة تغذوها العصبيات القبلية، والعنصرية العرقية، والأهواء الشخصية، وتتجاذبها المصلحة الاقتصادية، والأطماع التوسعية، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "انقطعت الدولة الأموية من الأرض، انتشر ملك الخلافة، وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف، وانتزى الرؤساء من البربر، والعرب، والموالي بالجهات، واقتسموا حطتها وتغلب بعض على بعض"[4].

---

[1]– عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 20. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 408.

[2]– لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 135.

[3]– مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 254، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 135.

[4]– ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، السعودية، دط، دت، ج4، ص: 336.

وقد شكلت هذه العصبيات، والأحزاب المتصارعة، ثلاث طوائف كبرى متمركزة في مناطق معينة، تضم كل طائفة منها مجموعة من الممالك، تختلف عن بعضها من حيث المساحة، والقوة، والضعف وجاء تقسيمها كالآتي:

الطائفة الأولى: ويمثلها أهل الأندلس، وهم أهل البلاد الأصليين الذين استوطنوا فيها منذ الفتح العربي الإسلامي[1]، سواء كان أصلهم عربي أو بربري[2]، وقد أسسوا دويلات أهمها:

1- بنو تجيب ثم بنو هود[3]، في سرقسطة (408هـ 512هـ/ 1017م-1118م).
2- بنو القاسم في ألبونت[4] (421هـ497هـ/ 1030م-1103م).
3- بنو عباد[5] في إشبيلية (414هـ 484هـ/1023م-1091م).
4- بنو جهور[6] في قرطبة (422هـ 461هـ /1031م - 1096م).
5- بنو عبد العزيز بن أبي عامر[7] في بلنسية (429هـ /1037م).

---

[1]- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1971، ص: 465.

[2]- إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1986، ص ص: 351-352.

[3]- بنو هود: تولوا الحكم بعد التجيبيين الذين كانوا يحكمون سرقسطة قبل الفتنة، حيث استولى سلمان بن محمد بن هود على سرقسطة، وقبلها كان واليا على لاردة، ودانت له منذ سنة 431هـ 1039م. ابن عذارى، البيان المغرب، مج2، ص: 175. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 170.

[4]- بنو القاسم: يرجع أصلهم إلى اسرة عربية من نسل عبد الملك بن قطن الفهري، أسسوا إمارة بعد أحداث الفتنة على يد عبد الله بن القاسم في ألبونت وهي قرية من أعمال بلنسية. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص: 56. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص ص: 260-262.

[5]- بنو عباد: يرجع نسبهم إلى قبيلة الخم اليمنية، قدم جدهم عطاف بن نعيم إلى الأندلس يرجع تأسيس إمارتهم إلى إسماعيل بن محمد بن عباد الذي كان قاضيا على إشبيلية وتولى تسييرها أثناء الفتنة، وصلت المملكة ذروة مجدها في عهد المعتمد بن عباد. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 33.

[6]- بنو جهو: هو جهور بن محمد بن عبيد الله، كان من وزراء الدولة العامرية، وأحد أعيان الجماعة الذين ألغوا الخلافة الأموية، صار له تصريف شؤون قرطبة، بعد ذلك، واستمر في ذلك إلى وفاته سنة 435هـ. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 185. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 147.

[7]- بنو عبد العزيز بن أبي عامر: ابن الحاجب المأمون حفيد الحاجب المنصور بن أبي عامر، تولى الحجابة وهو ابن ثلاثة أعوام، بعد مقتل ابيه عام 399هـ، فروا به إلى سرقسطة، بايعه أهل بلنسية خاصة الفتيان العامريون. ابن عذارى، المصدر السابق، مج3، ص: 47 و160. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 197.

6- بنو صمادح[1] في ألمرية (433هـ 484هـ/ 1041م – 1091م) [2].

الطائفة الثانية: ومثلها البربر حديثوا العهد بالأندلس، الذين دخلوا إليها، واستقروا بها في عهد المنصور بن أبي عامر[3]، وقد سيطروا على المناطق الجنوبية والشمالية[4]، وأسسو بها الممالك التالية:

أ) في الجنوب:

1- بنو برزال[5] في قرمونة[6] (404هـ 460هـ/ 1013م-1068م).

2- بنو يفرن[7] في رندة[8] (431هـ 458هـ / 1039م – 1065م).

---

[1]- بنو صمادح التجيبيون: هو ابو يحيى محمد بن معن بن صمادح، تولى حكم ألمرية خلفا لأبيه معن بن صمادح بإجماع رجال الدولة ولم يكن قد استكمل الثامنة عشر من عمره، عرف عهده عدة ثورات منها ثورة ابن شبيب صاحب لورقة، لم يكن متحسما لوجود المرابطين بالأندلس، توفي سنة 484هـ. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص ص: 166-243. ابن عذارى، المصدر السابق، مج3، ص: 174.

[2]- عصام محمد شبارو، المرجع نفسه، ص: 222. أحمد مختار العبادي، في التاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 465. إبراهيم بيضون، المرجع السابق، ص: 354. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 166.

[3]- أحمد مختار العبادي، في التاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 255.

[4]- عصام عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص: 206.

[5]- بنو برزال: ينتمون إلى قبيلة زناتة، من الخوارج الإباضية، قاموا بدور الوساطة في حل النزاعات كالنزاع القائم بين المعتمد بن عباد ومحمد بن عبد الله الأفطس، ظلت دولتهم قائمة حتى استولى عليها بني ذي النون دون قتال، ثم آلت فيما بعد إلى بني عباد. ابن عذارى، المصدر السابق، مج3، ص ص: 267-268.

[6]- قرمونة Caramone: مدينة واسعة وقديمة، يرجع أصل بنائها إلى العهد اللاتيني معناها الصديقين، تقع على مقربة من جنوبي الواد الكبير في شمال شرق إشبيلية على رأس جبل حصين. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص ص: 158-159. الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، 2002 ص: 300.

[7]- بنو يفرن: بطن من قبيلة زناتة يرجع نسبهم إلى يفرن بن يصلين، دخلوا الأندلس سنة 347هـ 958م واستقروا بتاكرونة. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص ص: 152-153.

[8]- رنده: مدينة أسست قديما، تشتهر بكثرة العيون، وغراسة الورد والزهور، تقع غربي مالقة. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 79.

ب) في الشمال:

1- بنو ذي النون[1] في طليطلة (427هـ 478هـ/ 1035م – 1085م).

2- بنو حمود في مالقة والجزيرة الخضراء (407هـ 449هـ/ 1016م-1057م)[2].

الطائفة الثالثة: ويمثلها كبار الصقالبة، ويعرفون بالموالي العامريين استقلوا بشرق الأندلس، وأسسوا بها بعض الدويلات[3] من أهمها:

1- بنو عمار: في دانية[4]، وألمرية[5]، ومرسية[6]، وبلنسية (413هـ-478هـ/ 1021م-1085م).

2- بنو طاهر[7]: في مرسية (455هـ-471هـ/ 1033م-1078م)[8].

---

[1]- بنو ذي النون: من قبيلة هوارة البرنسية، يرجع اشتقاق اسمهم إلى تحريف اسم جدهم زنون الذي حرف إلى ذي النون، مؤسس الإمارة إسماعيل بن ذي النون. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج2، ص: 327.

[2]- عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 222.أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، المرجع السابق، ص: 465. إبراهيم بيضون، المرجع السابق، ص: 372. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص ص: 120-121.

[3]- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، المرجع السابق، ص: 256. وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص: 317.

[4]- دانيه: تقع على البحر، بها قاعدة بحرية لصناعة السفن، تشتهر بزراعة الكروم.الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 76. الإدريسي، المصدر السابق، ص: 282.

[5]- ألمرية: مدينة حديثة البناء، بنيت في عهد الناصر سنة 344هـ/955م، كانت مركزا تجاريا هاما في عصر الخلافة، عرفت تطورا كبيرا في عهد بني صمادح. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 183. الإدريسي، المصدر السابق ص: 289.

[6]- مرسيه: تقع على النهر الكبير، تعرف بحماماتها الكثيرة، وأسواقها المتعددة. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 181. الإدريسي، المصدر السابق ص: 285.

[7]- بنو طاهر: هو أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر (508هـ/1114م) يرجع نسبهم إلى بني طاهر القيسيني أحد أغنى بيوت كوره تدمير، والمشهورين بالعلم، عرف بكونه من اشهر كتاب الأندلس، تولى حكم مرسيه سنة 455هـ خلافا لأبيه أبو بكر بن طاهر، سقطت دولتهم على يد أبي بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية. عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 179. ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك: الصلة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دط، 1989، ص: 832. أدهم علي: المعتمد بن عباد، الإدارة العامة للثقافة، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، مصر، دط، 2000، ص: 158.

[8]- عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص ص: 212-213. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، المرجع السابق، ص: 466.عبد الله عنّان، المرجع السابق، ص: 220.

الفـــصل الـــأول

مفاهيم العصبية القبلية وطبيعتها

المبحث الأول: مفهوم العصبية القبلية وبعض المعاني المرتبطة بها.

المطلب الأول: مفهوم العصبية لغة واصطلاحا:

أولا: العصبية لغة:

ورد في معجم صحاح اللغة أن العصبية من العَصَبَة واحد العَصَبْ، والأعصاب، وهي أطناب المفاصل، وانعصب اشتد والعصوب الشديد.[1]

أما في لسان العرب فذكر أن: عَصَبْ الشيء عَصَبَ، يُعَصِبُ، عَصْباً، طواه ولواه شديدا، وقيل الشدة.[2]

وأما في معجم تهذيب اللغة: فإن المصدر هو العَصْبُ وهو الطيُ الشديد، ومن قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**﴾[3]، أي يوم شديد.[4]

ويأتي التعصب بمعنى:

1- "الاجتماع" و"التجمع": ومنه قولهم عصب بالقوم اجتمعوا له وحوله وهم عاصبون له، وقد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا.[5] واعصوصبوا اجتمعوا وصاروا عصابة واحدة، وفي الحديث: أنه كان في مسير فرفع صوته، فلما سمعوا صوته اعصوصبوا، أي اجتمعوا وصاروا عصابة واحدة.[6]

---

[1]- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مر: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت، ص744 مادة (عصب).

[2]- محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، مج 2، ص92.

[3]- سورة هود، الآية 77.

[4]- أبو منصور الأزهري، معجم تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مر: محمد علي نجار، دار المصرية لتأليف والترجمة، د.ط، د.ت، ج2، ص45.

[5]- الأزهري، المصدر نفسه، ص49.

[6]- ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص99

2- الإحاطة والإطافة: ومنه عقّب بالشيء أحاط به وأطاف.[1]

والعُصبة والعصابة: الجماعة ليس لها واحد، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾.[2]

والعصابة تقع على الجماعة من الناس، ومنه الحديث: "اللهم إن تُهْلِكَ هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض".[3] وتقع على الطير والخيل ومنه قول الشاعر: عصائب طير تهتدي بعصائب.[4]

والعصائب: جمع عصابة وهي ما بين العشرة إلى الأربعين.[5]

والعصبة: أبناء الرجل وقرابته لأبيه، وعصبة الرجل أولياؤه الذكور من ورثته، سموا عصبة لأنهم عصبوا بنسبه أي استكفوا به فالأب طرف، والابن طرف، والعم جانب، والأخ جانب والعرب تسمي قرابات الرجل أطرافه، ولما أحاطت به هذه القرابات وعصبت بنسبه سموا عصبة، والجمع عصبات.[6]

والعصبية: أن تدعوا الرجل إلى نصرة عصبته ومنها التعصب للأقارب أو العشيرة أو الجماعة.

والعصبيُّ: الذي يعين قومه ظالمين أو مظلومين، ومنه الذي يتعصب لهم ويحامي عنهم.[7]

---

[1]- أحمد رضا، متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، د.ط، 1958م، مج 4، ص117.

[2]- سورة يوسف، الآية 08.

[3]- جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث (1763) من حديث ابن عمر.

[4]- الأزهري، المصدر السابق، ص49.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص96.

[6]- الجوهري، المصدر السابق، ص774.

[7]- أحمد رضا، المرجع السابق، مج 4، ص117.

والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه نصرناه ظالما أو مظلوما،[1] ومنه الحديث: " أمِن العصبية أن يحب الرجل قومه. قال: لا ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم".[2]

إن كل ما تم عرضه من تعريفات لغوية لكلمة العصبية يتبين منها أنها اشتقاقات دلت على معاني مختلفة.

ثانيا: العصبية في الاصطلاح.

تنوعت آراء العلماء والمختصين في بيان معنى العصبية قديما وحديثا ولكل طائفة منهم معاني قد تختلف نوعا ما أو قد تتفق مع المعنى الآخر ونحاول هنا أن نبين معنى العصبية عند كتب فيها أو أشار إليها.

قال الأزهري: "العصبية أن يدعى الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين".[3]

ومن ثم فالعصبية هي دعوة للرجل إلى السير في طريق الجماعة وعدم الانحياز عن هذا الطريق، وليس له الحق في مخالفة جماعته وإن كانوا ظالمين وإلا فإن الاعتراض على طريقتهم وعدم مسايرتهم على ما هم فيه دليل على عدم تحليه بروح الجماعة التي ينتمي إليها ويعيش تحت ظلها.

وعرفها ابن خلدون بأنها: "النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه، أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك... ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نعرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه".[4]

---

[1]– ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص96.

[2]– جزء من حديث أخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن باب العصبية، رقم الحديث (3943) عن عبادة ابن كثير.

[3]– الأزهري، المصدر السابق، ص49.

[4]– عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت– لبنان، د. ط، 2001م، ص160.

فابن خلدون يرى أن العصبية رابطة اجتماعية أساسها الرحم والدم والنسب، وهذه الرابطة تجمع بين أفراد جماعة معينة وتزيد قوة هذه رابطة وتشتد في أوقات الخطر الذي يهدد أمن هذه الجماعة أو أحد أفرادها، فهي إذا ظاهرة طبيعية نفسية تكون عند الفرد أو الجماعة ترمي إلى الذود عن حمى الجماعة وأفرادها عن طريق الالتحام والتناصر والولاء والحلف.

وشرح جمال الدين الأفغاني معنى العصبية فقال: "التعصب قيام بالعصبية والعصبية من مصادر النسبية، نسبة إلى العصبة، وهي قوم الرجل الذين يعززون قوته ويدفعون عنه الضيم والعداء، فالتعصب وصف للنفس الإنسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه"[1]

فجمال الدين أشار إلى معنى العصبية بشكل يقارب ما ذهب إليه ابن خلدون إلا أنه يوسع في دائرة العصبية لتشمل الأمة الواحدة.

وعرفها إبراهيم سلامة بأنها: "التلاحم بالعصب، والالتصاق بالدم، والتكاثر بالنسل، ووفرة العدد، والتفاخر بالغلبة والقوة والتطاول".[2]

لم يخرج هذا المعنى للعصبية عن المفهوم اللغوي الذي يدور حول معنيين رئيسيين: "الإجتماع" و"النُصرة" اللذان يمثلان صلب العصبية وعصبها.

وعرفها الجابري تعريفا نفسيا فقال: "أنها رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معا تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطا مستمرا، يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولائك الأفراد أو الجماعة".[3]

من خلال هذا القول فالعصبية رابطة اجتماعية نفسية متبادلة بين الفرد وجماعته بمعنى أنها رابطة– العصبية– احتوائية تقمصيه، فالجماعة تحتوي الفرد عندما يتعرض للخطر والتهديد

[1]– جمال الدين الأفغاني، خاطرات الأفغاني (الأعمال الكاملة)، تق: محمد باشا المخزومي، مكتبة الفاروق الدولية، القاهرة– مصر، ط1، 2002م، ص ص323– 324.

[2]– إبراهيم سلامة، خلق ودين (دراسات اجتماعية أخلاقية)، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحليم وأولاده، ط1، 1954م، ص81.

[3]– محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون– العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط5، 1992م، ص167.

تحميه وتدافع عنه والفرد يتقمص الجماعة ويذوب في العصبة عندما يهددها الخطر فيشارك في حمايتها ونصرتها.

وعرفت زينب الخضري العصبية بأنها: "رابطة الدم" أو "تكاتف اجتماعي" أو "تضامن قبلي".[1]

فالباحثة أضافت إلى المعاني السابقة للعصبية، أساس العصبية وهو البناء القبلي الذي تتقوى به العصبية وتشتد، ويظهر هذا البناء القبلي بشكل متماسك في البادية عند أهلها حيث تتماسك اللحمة وتزداد القوة، وبالمقابل نجد هذه اللحمة تضعف قوتها وتفسد رابطتها في الحضر.

وإلى هذا أشار ابن خلدون بقوله: "أن القبيل إذا غلبت بعصبتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة... والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك بمقدار ما حصل من الرياش والترف فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة وتنشأ بنوهم في مثل ذلك فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم إلى أن تنقرض العصبية وإذا انقرضت العصبية قصّر القبيل عن المدافعة والحماية.. والتهمتهم الأمم".[2]

من خلال هذه المفاهيم السابقة للمتقدمين والمتأخرين نجد أن مفهوم العصبية في مجمله يدور حول معاني "الاجتماع" و"النصرة" و"رابطة الدم" و"الولاء والحلف"، و"الإحساس الجماعي" و"التكاثف القبلي".

وقد تطور هذا المفهوم مع التطور الذي حصل للبشرية فلم يعد مرتبطا بالقبيلة، والعشيرة بل توسع ليصبح تعبيرا عن ارتباط المصالح، وتبادل النفع، وشكلا من أشكال التضامن بين سكان البلد الواحد أو الأمة الواحدة.[3]

---

[1]– زينب الخضري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دارا الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1989م، ص182.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص175– 176.

[3]– الشيخ عدة، العصبية الدينية دورها في قيام وأفول الدول الإسلامية، رسالة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2011– 2012م، ص17.

المطلب الثاني: مفهوم القبيلة والقبلية،

لقد تعددت التعريفات المتعلقة بالقبيلة ومشتقاتها، وقد أفرد علماء اللغة والدارسون لمصطلح "القبيلة" مؤلفات وأبوابا ومحاور وبمتابعة مختلف التعريفات المتعلقة به يمكننا التعرف على خلفيات هذا المفهوم ومنطلقاته التي أدت إلى تعددية في معانيه.

القبيلة لغة:

يقول ابن منظور في لسان العرب: "القبيلة هي مفرد قبائل وقبائل الرأس هي أطباقه، وهي أربع قطع مشعوب بعضها إلى بعض ويقال قبائل القدح والجفنة إذا كانت على قطعتين أو ثلاث قطع وقبيلة الرأس كل فلقة قد قوبلت بأخرى".[1]

وورد معنى القبيلة في صحاح الجوهري بـ: "والقبيلة واحد قبائل الرأس، وهي القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشؤون، وبها سميت قبائل العرب والواحدة قبيلة، وهم بنو أب واحد، والقبيل ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله، والقبيل الكفيل والعريف، والجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم، والزنج، والعرب، والجمع قُبُلْ وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾[2] قال الأخفش أي قبيلا".[3]

والقبيلة عند الفيروز أبادي جاءت من القبيل وهو بمعنى: "الكفيل والعريف والضامن وقد قبل به، والقبيل الزوج والجماعة من ثلاثة فصاعدا، والقبيلة وهم بنو أب واحد، وسير اللجام، وصخرة على رأس البئر".[4]

إن ما يمكن استخلاصه من المعنى اللغوي هو أن كلمة قبيلة سواء تعلقت بالأشياء أو الأجناس فإنها تعني في دلالتها التكافل والتضامن والتعاون.

---

[1]– ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص22.

[2]– سورة الأنعام، الآية 111. رواية حفص عن عاصم.

[3]– الجوهري، المصدر السابق، ص914.

[4]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط6، 1998، ص1046، (باب قبل).

القبيلة في الاصطلاح:

يقول ابن منظور: "والقبيلة هي الجماعة من الناس يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالزنج والروم والعرب، وقد يكونون من نحو واحد وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة... والقبيلة من قبائل العرب سائرهم من الأجناس ويقال لكل جماعة من واحدة قبيلة، ويقال لكل جمع من شيء واحد قبيل، وكل جيل من الجن والناس قبيل".[1]

فهذا المفهوم الذي أشار إليه ابن منظور يقوم على التصنيف وفكرة التجمع والتدرج كما أن هذا التجمع يقوم على النسب الواحد والأصل الواحد المشترك للمجموعة.

والقبيلة عند ابن خلدون يعرفها في المقدمة فيقول: "اعلم أن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضا عصيبات أخرى لأنساب خاصة فهي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد، أو أهل بيت أو إخوة من أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين....".[2]

فابن خلدون لا يحدد مفهوم القبيلة في كونها جماعة متفرعة عن جد أول أو بما يجمع بين أعضائها من روابط الدم وإنما القبيلة في إطارها الحقيقي عند ابن خلدون فهو النسب في معناه الواسع والعام، وما يمثله من أشكال التحالف والولاء والانتماء والمكان الأرض الذي يشكل محور التحام الجماعة أو ما يعرف بالعصبية الذي يعزز تلاحمها الداخلي الخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرار تواجدها.[3]

وقد استندت الموسوعة العربية الميسرة في تعريفها للقبيلة على التراث العربي حين عرفتها باعتبارها: "مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة، ويسكنون إقليما واحدا مشتركا يعتبرونه ملكا خاصا بهم". [4]

---

[1]– ابن منظور، المصدر السابق، (مادة ق ب ل)، ج11، ص: 451.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص177.

[3]– محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط1، 2002م، ص56.

[4]– محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية المسيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، 1987، مج2، ص73.

أما قاموس علم الاجتماع فإننا نجد عدة تعريفات ومفاهيم لقبيلة منها: هي تجمع كبير أو صغير من الناس يستغلون إقليما معينا، ويتحدثون اللغة نفسها وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافيا.

أو هي وحدة متماسكة اجتماعيا ترتبط بإقليم، وتعتبر في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية.[1]

من خلال هذه التعريفات والمفاهيم التي تصب جميعها في إطار واحد يعتبر القبيلة وحدة اجتماعية محورية كانت حاضرة عبر مختلف مراحل تاريخ العرب قائمة على فكرة التجمع القائم على أساس النسب المشترك لمجموع أفراد القبيلة المنتمية إلى جد أعلى مشترك، يميزها عن مجموعات أخرى مماثلة ويفصلها عنها، بحيث تكون العلاقات بين الطرفين علاقات تعارض وتنافس وصراع.[2]

مفهوم القَبلية في اللغة:

هي نزعة نفسية فطرية تنشأ مع الإنسان بفعل عوامل الدم والنسب والمصاهرة والجوار والحلف، وقد عرف ابن منظور النزعة: "بأنها ما يهواه الإنسان" وقال أيضا: "نزع الإنسان إلى أهله حن واشتاق، ونازعتني نفسي إلى هواها غالبتني".[3]

وفي صحاح اللغة للجوهري: "نزع فلان إلى أهله ينزع نزاعا أي اشتاق وبعير نازع وناقة نازعة، إذا حنت إلى أوطانها ومرعاها، وأنزع القوم إذا نزعت إبلهم إلى أوطانها".[4]

أما القبلية في الاصطلاح:

فهي قوة التعلق والانتماء التي تنتاب الإنسان تجاه الكيان الذي يحتضنه وينتمي إليه وينتسب والإنسان يرى في قبيلته ذلك الكيان الذي يمثل بالنسبة له قيمة وجوده، ويزداد هذا

[1]– محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 1990م، ص 98.

[2]– محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص54.

[3]– ابن منظور، المصدر السابق، مج6، ص4395.

[4]– الجوهري، المصدر السابق، باب (نزع)، ص ص1129– 1130.

التعلق بالقبيلة حينما تتعرض للعدوان فمشاعر الانتماء حينئذ تكون في الذروة، لكن هذا الشعور قد يتحول بدافع العاطفة إلى شعور بالتعالي والفوقية وازدراء للآخرين، وبالتالي قد يترتب عليه نزاعات بين القبائل وصراعات.[1]

وعرفها محمد نجيب بوطالب: "على أنها نزعة يعبر عنها سلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية وهي متفاوتة الحضور لدى المجتمعات والجهات.[2]

ومهما يكن من اختلاف في التعريف بالقبلية إلا أنه يمكن القول على أنها سلوك فطري يرجع إلى الأصل المشترك الذي يجمع الأفراد للعيش وفق نفس العادات والأعراف والتقاليد وتحمل الكثير من المعاني المرتبطة بالنصرة والحماية والمدافعة.

المطلب الثالث: بعض المعاني المرتبطة بالعصبية القبلية.

هناك بعض المعاني التي يتداولها الناس لها ارتباط بمفهوم العصبية القبلية ومن أهم تلك المعاني ما يلي:

1- العنصرية:

المصدر العنصر وهو الأصل، والحسب، والجنس، يقال فلان كريم العنصر أي كريم الأصل والجنس، والعنصرية تعصب المرء أو الجماعة للجنس.[3]

وورد مفهوم العنصرية بمعنى: العنصرية نظرية وممارسة تبرز التفاوت الاجتماعي والاستغلال والحروب بحجة انتماء الشعوب لأجناس مختلفة، وهي ترد الطبائع الاجتماعية الإنسانية إلى سماتها البيولوجية العنصرية وتقسم الأجناس بطريقة تعسفية إلى أجناس عليا وأجناس دنيا، وتؤدي العنصرية لعمليات التفرقة العرقية وعمليات الإبادة الجماعية.[4]

---

[1]- دلو برهان الدين، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 1989م، ص153.

[2]- محمد نجيب بوطالب، المرجع السابق، ص62.

[3]- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص631.

[4]- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، كتب عربية، د.ط، 2003م ، ص333.

2- الشعوبية:

فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم وهناك من يعرفها على أنها: نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحط منهم، أما الشعوبيون فهم الحاقدون والحاسدون للعرب على المنزلة التي وصلوا إليها، وحقدهم ينبع من قيام العرب المسلمين بإزالة دولهم كالفرس والقوط.[1]

ويشير أحمد شلبي إلى بدايات ظهور هذه الفكرة إلى بدايات العصر الأموي حيث ظهرت روح جديدة لا يقرها الإسلام وهي الفرق بين العرب والموالي حيث أحس العرب بتفوق جنسهم الذي كان منه الخلفاء والأمراء والكتاب والشعراء والفقهاء، وافتخروا بجنسهم ولم يساووا بينهم وبين الموالي وبخاصة الفرس ومن هنا بدأ للشعوبية معنى جديد في التاريخ يرمي إلى التعصب لغير العرب وقاد يهود فارس هذا الاتجاه وخاصة في ظل الدولة العباسية التي قامت على سيوف فارسية في كل المجالات الأدبية والشعرية والفكرية وحتى السياسية، فأصبح منهم العديد من الوزراء والأدباء والسفراء والمفسرين والمؤرخين، وبدؤوا بحاضرهم الذي آلوا إليه وما فيهم يعدون أنفسهم أسمى من العرب وهذا المعنى الذي آل إليه معنى الشعوبية فأصبح معنى مزدوج هو الحط من قيمة الجنس العربي، والنيل من الدين الإسلامي ووسيلتها لذلك التعصب والعصبية لرفع شأن غير العرب وبخاصة الفرس والتفاخر بأمجادهم ورقي حضارتهم، وما يتبع ذلك من تصغير شأن العرب والهجوم عليهم ووصفهم بأحقر الأوصاف.[2]

3- العِرقية:

وهي الاعتقاد بأن العِرق هو العامل الأكثر فعالية في تكوين السمات والمواهب البشرية، وأن الفروق العرقية تولد امتيازا فطريا عند عرق بعينه.[3]

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص127. مادة (ش ع ب).

[2]- أحمد شلبي، الموسوعة الإسلامية العامة، اش: محمود حمدي زقزوق، القاهرة، مصر، د.ط، 2003م، ص813.

[3]- إسماعيل عبد الفتاح، المرجع السابق، ص319.

4- التحيز:

في اللغة: من الفعل حَيَّزَ، تَحَيَّزَ، ومنه تحيَّز الرجل أراد القيام فأبطأ في ذلك، وتحيَّزَ إليهم انضم ووافقهم الرأي،[1] ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾.[2]

في الاصطلاح: التَحَيُّزْ هو التفرقة بين البشر بسبب لونهم، أو طبقتهم، أو دينهم، وعدم منح هذه الفئات حقوقهم المختلفة، والتسلط من فئة اجتماعية ضد الفئة الأخرى، وقد يتم فصل الفئة المُتَحَيَّزْ ضدها في منطقة معينة، وعندئذ تسمى التفرقة العنصرية.[3]

5- الحَمِيَّة:

من حمى الشيء، يحميه حميا وحماية: منعه، ومنه حاميت عنه محاماة وحماء: منعت عنه، والحمية: الأنفة، وفلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وأنفة،[4] ومنه قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾.[5]

وفلان ذو حميَّة منكرة إذا كان ذا غضب وأنفة، ومنه قول الليث: حميت من هذا الشيء أحمى منه حميَّةً أي: أنفا وغيضا، ومنه الحامية: الرجل يحمى أصحابه في الحرب، وهم أيضا الجماعة يحمون أنفسهم.[6]

---

[1]- شعبان عبد العاطي وآخرون، المرجع السابق، ص215.

[2]- سورة الأنفال، الآية 16.

[3]- إسماعيل عبد الفتاح، المرجع السابق، ص118.

[4]- شعبان عبد العاطي وآخرون، المرجع السابق، ص117.

[5]- سورة الفتح، الآية 26.

[6]- ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص199.

6- الغُلُوُّ:

في اللغة: من غلا، يغلو، غلواً أي جاوز الحد وأفرط فيه، ومنه الغلُوُ في الدين والأمر، ومنه قوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ".[1]

والغلوُّ: هو الإعداء والتجاوز لقدر ما يجب وهو عندهم أفحش من التعدي، وكله من الارتفاع والتجاوز.[2]

في الاصطلاح: الغلو هو التعلق والتعصب بشخص أو فكرة أو مبرر أو عقيدة بحيث لا يدع مكانا للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة.[3]

فهذه بعض المعاني التي يستخدمها البعض في التعبير عن العصبية فالعنصرية إذا اعتبر الفرد أنه أفضل من الآخرين في أصله وجنسه فهي عصبية، والتحيز لفئة دون فئة وإقصائها يعد من العصبية، والشعوبية التي تنظر بحقد إلى العرب فهي عصبية، والحمية إذا صاحبها فعل الجاهلية والغضب فهي عصبية، والغلو إذا تعلق الفرد وتعصب للفكرة أو شخص أو معتقد، وترفع عن الآخرين فهو عصبية.

[1]- سورة المائدة، الآية 77.

[2]- ابن منظور، المصدر السابق، ج11، ص ص78- 79.

[3]- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بيروت- لبنان، د.ط، 1987م، ص154.

المبحث الثاني: طبيعة العصبية القبلية.

يؤكد ابن خلدون في مقدمته أن الأساس الذي تعتمد عليه العصبية في نشأتها هو النزعة الطبيعية الموجودة في البشر[1] والذي يتمثل في الاجتماع البشري الذي يعد الأساس الأول في بناء رابطة النسب والرحم، والذي تنبثق عنها فيما بعد القبيلة والتي تعد أصل العصبية، وفيها تكتسب كامل مقوماتها وقواها، ولابد لهذه العصبية من وجود أسس تقوم عليها ومقومات ترتكز عليها لترتقي فتكون دولة قوية مادامت هذه الأسس والمقومات قائمة وقوية وثابتة، فإذا ضعفت وتراخت انهارت هذه الدولة وزالت فما هي هذه الأسس والمقومات التي تقوم عليها العصبية والتي أشار إليها ابن خلدون في مقدمته؟

المطلب الأول: أسس العصبية القبلية.

1- القرابة والنسب:

لقد أشرنا في المبحث الأول إلى مفهوم العصبية والتي تعتبر رابطة اجتماعية أساسها الرحم والنسب، وتنجم عن ترابط اجتماعي بين الأفراد الذين تربطهم هذه الرابطة، أي رابطة الرحم، وفي هذا يقول ابن خلدون: "وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النُعْرَة[2] على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة".[3]

ومن ذلك فإن أقوى أساس تقوم عليه العصبية هو أساس صلة الرحم والنسب والذي مردهما إلى الطبيعة البشرية وإلى أثر القرابة التي أصلها رابطة الدم وتشمل جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أسرة واحدة وأصل واحد، والذين يكونون نواة القبيلة فهذا الأصل الواحد والقرابة هما اللذان يحركان في الأفراد الحمية والعصبية لنصرة إخوانهم من أهل القبيلة والذود عنهم وفي هذا

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص160.

[2]- النُعْرَةُ: الخيلاء والكبر والأمر بهم، ونعر القوم: هاجوا واجتمعوا إليه، ونعر بالأمر: نهض وسعى. ينظر: الجوهري، تاج اللغة، ص1150. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص485 (باب نعر). وعرفها ابن خلدون: النُعرة والنُعار بالضم فيهما والنعير: الصراخ والصياح في حرب أو شر والمعنى هنا التعصب لذوي الأرحام ونجدتهم. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، الهامش، المصدر السابق، ص160.

[3]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص160.

الصدد يقول ابن خلدون: "فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه، أو العداء عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية من البشر".[1]

وكلما كان النسب قريبا جدا ومتواصلا بين الأفراد الذين ينتمون إليه حصل الاتحاد واللحمة، وكانت العصبية أقوى، وكلما بَعُدَ النسب وضعفت رابطة القرابة قل التلاحم، والتعاضد والتناصر يقول ابن خلدون: "... فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل فيه الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة... وإذا بَعُدَ النسب بعض الشيء... فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور فرارا من الغضاضة...".[2]

ولذلك نجد العرب أشد اعتناء بحفظ الأنساب، وتجنب التخليط بينها فلا يجعل الأصيل هجينا ولا الهجين أصيلا، ولا يقيم العربي وزنا لشيء بقدر ما يقيم للنسب لاسيما عند أهل البوادي، حيث أن كل قبيلة فيهم يعرف نسبها ويحصى أفرادها وتحفظ بطونها[3] وأفخاذها[4] حتى تكون يدا واحدة في وجه من يعاديها من سائر القبائل.

وأما في الحواضر فإن الاعتناء بحفظ الأنساب يقل وذلك لعدم احتياج أهلها له لأن الحواضر مشغولة، ومصروفة إلى إدارة أمورها من صناعات، وتجارة ومهن، وكلها مكفولة ومحمية بقوة الدولة والسلطان والذي يغنيها عن تماسك الفصيلة[5] أو القبيلة.[6]

---

[1]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص160.

[2]– المصدر نفسه، ص161. شكيب أرسلان، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، د.ط، 2012م، ص10.

[3]– البطن: اسم مذكر جمع أبطن وبطون وبطنان، وهو دون القبيلة، ودون العمارة وما انقسم منها. الجوهري المعجم نفسه، ص100، (باب بطن). فيروز أبادي، المصدر السابق، ص11180 (باب بطن).

[4]– الفخذ: الجمع أفخاذ، والفخذ في العشائر أقل من البطن، وهو حيّ الرجل إذا كان من أقرب عشيرته. ينظر: الجوهري، المصدر السابق، ص874 (باب الفخذ). فيروز أبادي، المصدر السابق، ص337 (باب الفخذ).

[5]– الفصيلة: عشيرة الرجل ورهطه الأقربون، أو أقرب آبائه إليه، يقال جاءوا بفصيلتهم أي بأجمعهم. الجوهري، المصدر السابق، ص891 (باب فصل). الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص1048 (باب فصل).

[6]– شكيب أرسلان، تاريخ ابن خلدون، المرجع السابق، ص ص24– 25.

2- البناء القبلي:

قد أشرنا في التعريف الاصطلاحي للعصبية أن من بعض معانيها التضامن والتكاتف القبلي، والذي يظهر جليا وبكل وضوح في البادية وأهلها، ويقل وربما يختفي عند أهل الحضر، فالعصبية لا تقوى إلا في البادية بما فيها من خشونة الحياة وشظف العيش، وقسوة الطبيعة، فحين نجدها تضعف عند أهل الحضر نتيجة الانغماس في الملذات، وترف الحياة، يقول ابن خلدون: "... أن القبيل إذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمهم وخصبهم... فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة... فتنقص عصبتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية، وإذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية...".[1]

إذن فمن أهم مقومات العصبية تحقق البناء القبلي بها، ومن جهة أخرى فإن الحياة البدوية تحافظ على النسب وتهتم به، والذي يعتبر من الأسس الهامة في بناء العصبية والمحافظة على قوتها، وذلك راجع للاعتزال الذي يتميز به أهل البادية، وبالتالي تكون العصبية أقوى لأنها عصبية قرابة ونسب، أما الحياة الحضرية فإنّ النسب فيها يفقد صراحته وبالتالي تفقد العصبية بعضا من قوتها.[2]

وهناك عامل آخر يقوى العصبية في البدو ألا وهو قسوة حياتهم، وخوفهم من العدو الخارجي، فالعصبية هي التي تربط بين أفراد البادية فتشتد شوكتهم وتقوى لحمتهم فيخشى جانبهم، وأما أهل الحضر فإنهم لا يحتاجون للعصبية ومسؤولية الدفاع عنهم من العدو مكفولة بمن يرأسهم ويحكمهم.[3]

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص175- 176. زينب الحضري، المرجع السابق، ص182.

[2]- زينب الحضري، المرجع نفسه، ص182. بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2003م، ص179.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص172- 173. زينب الحضري، المرجع السابق، ص183.

3- الحلف والولاء:

يذكر ابن خلدون أن العصبية لا تشمل أبناء الأسرة الواحدة الذين تربطهم ببعضهم البعض صلة الرحم فحسب، بل هي تتسع لتشمل أهل الحلف[1] والولاء.[2]

وفي هذا يقول: "... ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نُعرة كل واحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء..."[3]

فابن خلدون يؤكد أن الولاء والحلف من مقومات العصبية وأسسها، ومصدر من مصادر قوتها، بحيث تلجأ العصبيات المختلفة إلى الالتحام والاتفاق فيما بينها لتصير عصبة واحدة كبرى تهدف إلى الدفاع والحماية من الخطر والعدو المتربص بها، ومن ثم فإن هذه العصبيات تحتاج لتصير عصبة واحدة كبرى إلى عصبة غالبة تفرض سيطرتها على العصبيات الأخرى، وتتحكم فيها وتسيرها لتصبح تبعا لها.[4]

كما يرى ابن خلدون أن الولاء لابد من وجوده لتحقيق رابطة اجتماعية بين الأفراد الذين لا ينتمون إلى القبيلة، أو الذين لا تربطهم رابطة الدم والرحم، فتتحقق العصبية وتقوى بهم وتكبر القبيلة ولذلك يرتفع شأن أولئك الموالي،[5] ويرتقون إلى مراتب الشرف والمجد ويرسخ

---

[1]- الحلف: العهد يكون بين القوم، وقد حالفه أي عاهده، والصديق يحلف لصاحبه أن لا يغدر به، ويناصره ولا يخذله، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم حالف بين قريش والأنصار يعني آخى بينهم. الجوهري: المصدر السابق، ص274 (باب حلف). الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص801 (باب حلف).

[2]- الولاء: بالفتح أي القرابة والموالاة ويقال هم ولاء فلان أي موالون له، والموالاة ضد المعاداة، ويقال والي بينهما أي تابع، ومنه الوَلاية والوِلاية وتعنى النصرة، يقال هم على ولاية أي مجتمعون في النصرة. الجوهري، المعجم نفسه، ص1270 (باب ولي). الفيروز أبادي، المعجم نفسه، ص1344 (باب ولي).

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص170.

[4]- المصدر نفسه، ص164.

[5]- الموالي: جمع مولى وهو المالك، والعبد والمعتق والحليف، والناصر والمنعم والمنَعم عليه. ينظر: الجوهري، المعجم نفسه، ص1270 (باب ولي). الفيروز أبادي، المعجم نفسه، ص1344 (باب ولي).

ويثبت هذا المجد والشرف لهم كلما اجتهدوا في الولاء والخدمة، فشرفهم ومجدهم من شرف ومجد الذين يتعصبون لهم ويوالوهم، ويذهب هذا الشرف والمجد إذا ذهب مجد الدولة وزال[1].

ومن الدول التي قامت على هذا الأساس الولاء والحلف الدولة العباسية التي قامت وليس لها عصبة عنصرية تشد أزرها وتحمي بيضتها وإنما عصبتها هؤلاء الموالي المصطنعون من البرامكة والأتراك والذين تقلدوا الوزارات وأسندت إليهم قيادة الجيوش كأمثال خالد البرمكي وأسرته الذين تمتعوا بالنفوذ والسلطان ونالوا من الألقاب أعلاها سوى لقب الخليفة، وتزلف إليهم الناس من كل صنف بغية القربى عندهم لما وصلوا إليه وبلغوا من الجاه والسلطان.[2]

المطلب الثاني: أنواع العصبية القبيلة.

سبق في تعريف العصبية القبلية على أنها تعصب ذوي القربى والتكاتف والتضامن بين أبناء القبيلة إلا أن لها أنواع أخرى حسب الغرض الذي نشأت لأجله ومنها:

1- عصبية النسب والقرابة:

يمثل النسب والقرابة الأصل الحقيقي للعصبية القبلية كما يذهب إليه ابن خلدون: "في أن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو في معناه"،[3] فهو الذي يمثل أطر الانتماء والتحالف والولاء في القبيلة وبين أفرادها ويرى ابن خلدون أن منشأ عصبية النسب والقرابة هو الرحم، ولكن ليس بشكل مطلق بل إنه لا يجعل العصبية ملازمة للقرابة والدم بشكل مباشر، فهو يرى أن العصبية نتيجة لما يسميه بثمرة النسب: "إذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد"،[4] وثمرة النسب سببها الالتحام الحاصل بين الأفراد الذي يوجب صلة الرحم لذي ينتج عنها الدفاع والمناصرة.

وهذه الصلة- الرحم- ذات طابع فطري بشري موجودة منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى يومنا هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: "وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص169- 170.

[2]- محمد الخضري، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية- الدولة العباسية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ص ص450- 451.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص160. زينب الخضري، المرجع السابق، ص180.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص167. بوطالب محمد نجيب، المرجع السابق، ص180.

في الأقل"[1] ووجود الالتحام والنصرة والمدافعة في القبيلة وبين أفرادها سببه قوة صلة الرحم بينهم: "ما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر..."[2]

إن قوة العصبية تزيد وتنقص- تضعف- وذلك راجع إلى قوة اتصال النسب وبعده، وذلك إنه كلما كان أفراد أهل نسب واحد متصل ومشهور فإن عصبتهم تشتد وتقوى شوكتهم، ويُرهبُ جانبهم، وتثور فيهم حمية الدفاع عن أرحامهم وذويهم فلا تمتد إليهم أيدي أعدائهم لأنه لا يتصور العدوان عليهم أو على أحد منهم مع وجود عصبته الذين يحمونه وينصرونه يقول ابن خلدون: "ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبة وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويُخْشى جانبهم".[3]

وأما إذا كان النسب بعيدا غير واضح، فإن العصبية تضعف وبالتالي تقل الحمية بين الأفراد، فتنكص نفوسهم في الحرب عن الدفاع ويولون الأدبار، ويصبح هم كل فرد وبغيته النجاة لنفسه: "وأما المتفردون في أنسابهم فقل أن تصيب أحدا منهم نُعرة على صاحبه فإذا أظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة لنفسه خيفة واستيحاشا.."[4]

إذن فإن التعصب بالنسب القريب أو الخاص أقوى وأشد من التعصب بالنسب البعيد أو العام "والنُعرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة".[5] وهذا يقودنا إلى أن العصبية بالنسب تنقسم إلى:

أ- **عصبية خاصة:** وهي التي ينتمي أفرادها إلى أهل نسب واحد أو يكونون إخوة لبني أب واحد، وفيهم تكون النعرة والنصرة أشد وأقوى لقرب اللحمة.

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص167.

[2]- المصدر نفسه، ص160. عبد الرزاق مكي، الفكر الفلسفي عند ابن خلدون، الإسكندرية، د.ط، 1970م، ص ص 159-160

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص159.

[4]- المصدر نفسه، ص160.

[5]- نفسه، ص164.

ب- عصبية عامة: وهي الأكثر اتساعا والأقل ترابطا والتي يجمع أفرادها نسب عام أو بعيد مثل بني العم الأقربين أو البعيدين، وفيهم تكون النعرة- العصبية- أقل قوة لبعد اللحمة والصلة.[1]

2- عصبية الحلف والولاء والرِقْ والاصطناع:

يأتي هذا النوع من العصبية في المرتبة الثانية بعد عصبية النسب من حيث القوة والنصرة وإلى هذا يذهب ابن خلدون: "فإذا اصطنع أهل العصبية قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلنا ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ليسوا جلدتها كأنها عصبتهم.."[2]

فإذا اتخذ أهل العصبية أفرادا من غير نسبهم عن طريق الولاء والحلف أو الرِقِ[3] والاصطناع[4] وانضم هؤلاء الموالي والحلفاء والأرقاء والمصطنعين لهم قويت العصبية بهم واشتدت وارتقوا هم- الموالي- إلى شرف ومجد هذه العصبية، ويصبح شرفهم من شرفها وليس من نسبهم الخاص فهو ملغى لا اعتبار له. "وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية إذ هي مباينة لذلك النسب وعصبة ذلك النسب مفقودة..."[5]

وعلى حسب درجة رسوخ هؤلاء الموالي والمصطنعين في الخدمة والولاء يكون ذلك الشرف إذ فيه سر العصبية التي يحصل بها المجد الشرف، والولاية بالحلف والاصطناع بالرِقِ تتنزل منزلة النسب الذي تكون به النصرة، فكما تكون النُعرة والمدافعة حاصلة بالنسب تحصل أيضا بالاصطناع والولاء والحلف، وهذا مشاهد بين الناس فكثير من الدول العظمى قامت وتأسست ليس فقط على عصبة النسب بل أيضا قامت وقويت على عصبة الولاء والحلف.

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص164.

[2]- المصدر نفسه، ص169. الشيخ عدة، المرجع السابق، ص19.

[3]- الرق: من المِلْكِ وهو العبودية واسترقه أي ملكه وصار في ملكه. الجوهري، المعجم نفسه، ص460 (باب رقق). الفيروز أبادي، المعجم نفسه، ص887 (باب رقق).

[4]- الاصطناع: من فعل صنع الذي منه الخماسي اصطنع بمعنى اتخذ ومنه قولهم اصطنع عنده ضيعة اتخذها واصطنعت فلانا أي اتخذته للخدمة. الجوهري، المعجم نفسه، ص659 (باب صنع). الفيروز أبادي، المعجم نفسه، ص739 (باب صنع).

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص169.

وفي هذا يضرب ابن خلدون مثالا بالدولة العباسية ومواليها البرامكة[1] فيقول: "وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم، ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار وإنما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم..."[2].

3- عصبية الدَخالة:

وتحصل هذه العصبية عند إقدام أحدهم إلى ارتكاب جناية أو إصابة دم فيفر ويهرب من قبيلته خشية القصاص أو القتل إلى قبيلة أخرى، فيلحق بهم ويصبح دخيلا[3] ولصيقا، ويدعى نسبهم، ويعد منهم فتحصل له بالنسب الجديد النُصرة والحماية ويقول ابن خلدون: "اعلم أنه من البين أن بعضا من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر... فيدعي نسب هؤلاء، ويعد منهم في ثمراته من النصرة والقوة وحمل الديات، وكأنه التحم بهم.."[4]

4- عصبية المصلحة:

تتكون هذه العصبية وتظهر نتيجة أحداث سياسية كضعف الدولة أو مشاكل اقتصادية كغلاء المعيشة بسبب الجفاف، أو أسباب اجتماعية كالظلم والطغيان، فيقوم مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم المصلحة المشتركة والمنفعة المتبادلة بتأسيس عصبية يكون على عاتقها رفع الغبن على أهاليهم، واسترجاع حقوقهم، وقد تتطلع هذه العصبية إذا قويت شوكتها وزادت اللحمة بين أفرادها، وأصاب الدولة الحاكمة الضعف والهرم إلى التفكير بالاستيلاء على الحكم ولها في تحقيق ذلك الأمر طريقتين هما:

---

[1]- البرامكة : أسرة من مدينة بلخ كانوا مجوسا ثم دخلوا الإسلام، كانوا من أنصار الخلافة العباسية في بلاد خراسان وقد عين الخليفة العباسي أبو العباس السفاح أحد أفراد هذه الأسرة وزيرا له، وكان لهذه الأسرة دور كبير وفعال في الحياة السياسية للدولة العباسية. المظهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، بور سعيد مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط،، د.ت ج6، ص104.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص170.

[3]- الدخالة: من الفعل دخل يقال هم دخلٌ في بني فلان، إذا انتسبوا معهم وليسوا منهم. ينظر: الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص998 (باب دخل). الجوهري، المصدر السابق، ص363 (باب دخل).

[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص163.

1- الغزو المنظم والثورة إلى أن ينتهي بها الأمر إلى الإجهاز على الدولة القائمة وتأسيس دولة جديدة[1] يقول ابن خلدون: " والنوع الثاني بأن يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها إما بدعوة يحمل الناس عليها، أو يكون صاحب شوكة وعصبية فيسموا بهم إلى الملك بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة وما نزل بها من الهرم.."[2]

2- الانفصال والاستقلال بما يقع تحت أيديها من قطاعات وأقاليم أو ما كانت مسؤولة على إدارته في ظل الدولة يقول ابن خلدون في ذلك: "... بأن يستبد ولاه الأعمال في الدولة القاصية عندما يتقلص ظلها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة".[3]

ولكن هذه العصبية مهما بلغت من القوة فسرعان ما تنهار وتضعف وتزول فور استعادة الدولة لقوتها ومجدها أو قيام دولة غيرها مكانها.

المطلب الثالث: عوامل تعزيز قوة العصبية القبلية وضعفها.

- عوامل تعزيز قوة العصبية:

هناك عدة عوامل لها دور كبير في تعزيز قوة العصبية القبلية، ودعم روابطها وتمتين لحمتها وهي:

1- وجود عصبية عامة:

لقد ذكرنا سابقا حسب ما ذهب إليه ابن خلدون بأن عصبية النسب تنقسم إلى خاصة وعامة "أعلم أن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصائب واحدة لنسبهم العام ففيهم عصبات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام".[4]

[1]- الجابري محمد عابد، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994، ص260.
[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص371.
[3]- المصدر نفسه، ص371.
[4]- نفسه، ص164.

فالعصبية العامة هي الأكثر اتساعا، وهي تتعدى عصبة النسب بالالتحام الجماعي أو الروحي الذي يجمع بين الأفراد، والذي هو أساس قيام الدول العظيمة بينما الدول الصغرى فنجد أنها تعتمد على عصبية النسب، والذي هو في غالب الأحيان يكون من بين أسباب زوالها.[1]

يقول الجابري في كتابه العصبية والدولة: "إن قوة العصبية مستمدة أساسا من الالتحام الذي هو ثمرة النسب، فإذا أضيف إلى هذا الالتحام الاجتماعي التحام آخر روحي كانت العصبية من القوة بحيث لا يقف أمامها شيء".[2]

2- الدين:

إن الدين يعمل على جمع القلوب وتأليفها، وبث روح التضامن والتعاون بين أفراده، ويكون نتيجة ذلك ذهاب التنافس وقلة الخلاف والنزاع فإذا حصل ذلك الاجتماع والوحدة أدى بتطور العصبات الخاصة واتحادها واجتماعها لتصير عصبة عامة جامعة قوية[3] يقول ابن خلدون: "فإذا قام فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على أمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار، ثم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك".[4]

إذن فالعصبية التي كانت من قبل مفرقة ومتنازعة أصبحت الآن بالدّين عصبة جامعة قوية فالدين لا يقضي على العصبية، بل ينقلها من التعصب للنسب الخاص إلى التعصب للنسب العام، أي تحول العصبية بالدين من الإطار الضيق إلى الإطار العام الأوسع ومن هنا تبرز العلاقة بين العصبية والدين فهي علاقة تآزر وتعاضد وتكامل، فالدين يزيد العصبية قوة وشدة بالقضاء على مظاهر الأنانية والتفاخر بالأنساب والتقاطع والتدابر، والعصبة من جهتها تمنح الدعوة الدينية قوة وفاعلية، وذلك أن الدعوة الدينية من غير عصبة لا تتم يقول ابن

[1]- جاسم سلطان، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ط4، 2001م، ص39.

[2]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص190.

[3]- المرجع نفسه، ص188.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص198.

خلدون: "إن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس، والتحاسد الذي في أهل العصبة، والاجتماع الديني ضاعف قوة عصبتهم بالاستبصار والاستماتة فلم يقف لهم شيء".[1]

3- الملك والترف:

يعد الترف عاملا له دور في تقوية العصبية وزيادة عدد أفرادها وأتباعها وذلك أن القبيلة إذا زادت قوتها واشتدت عصبيتها كثرت مواردها ومداخيلها، وتطلعت إلى التوسع على حساب العصبيات الضعيفة لتصل إلى الملك والحكم، فإذا تمكنت من ذلك حصل لها طور الترف والرفاهية فيكون نتيجة ذلك الزيادة في عدد أفرادها عن طريق التناسل والتكاثر، وبالتالي تكثر عصائبها وتزداد قوتها، يقول ابن خلدون: "أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل، والولد، والعمومية فكثرت العصابة.. فازدادوا بها عددا إلى عددهم، وقوة إلى قوتهم بسبب كثرة العصائب حينئذ لكثرة العدد".[2]

- عوامل ضعف العصبية:

قد رأينا العوامل التي تساهم في تعزيز قوة ولحمة العصبية، وبالمقابل فإن هناك عوامل لها دور في كسر سورة العصبية وإضعاف روابطها وإفساد لحمتها وإلحاق الضرر بالمنضوين تحت لوائها ومنها:

1- الخضوع والانقياد:

يرى ابن خلدون أن من عوائق إضعاف العصبية حصول الانقياد والمذلة للغير فيقول: "أن المذلة والانقياد كاسران لسورة- قوة- العصبية وشدتها، فإن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها..."[3]

فانقياد الرعية وذلها يدلان على فقدان العصبة، والاستسلام والرضوخ والمذلة للغير ينتج عنها العجز عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة لا يقدر على المطالبة والغلب والمواجهة.[4]

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص ص198- 199.

[2]- المصدر نفسه، ص ص218- 219.

[3]- نفسه، ص176.

[4]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص199

يقول ابن خلدون: "فما رئموا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المطالبة والمقاومة..."[1]

2- فقدان الشجاعة:

تعتبر الشجاعة القوة الرادعة في الإنسان التي تمكنه من الدفاع عن نفسه وحماية ملكه، وتظهر الشجاعة جليا عند أهل البدو، ويكتسب هؤلاء هذه الصفة بفضل البيئة التي يعيشون فيها، والطرائق التي يتبعونها في كسب أقواتهم إذ تحتم عليهم تلك الظروف والطبيعة الاعتماد على النفس وبذل الجهد من أجل تحصيل لقمة العيش وخشونة في المعاش، والحفاظ على الحياة.

ولما كانت العصبية تتطلب المدافعة والمناصرة، والمدافعة والمناصرة يتطلبان الشجاعة والإقدام، وبالتالي فإن انعدام الشجاعة يؤدي حتما إلى التراخي والتكاسل، وهذا بدوره يؤدي إلى الخوف من المواجهة والقتال، ورغبة في السلم والراحة وهنا تضعف العصبية وتتفكك رابطتها وتزول.[2]

يقول ابن خلدون: "وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم... قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ.."[3]

3- الضرائب والمغارم:

يضيف ابن خلدون عاملا آخر له دور كبير في كسر سورة العصبية شدتها فيقول: "ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب، فإن القبيل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه وأن عصبتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية".[4]

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص176.

[2]- بوزيان الدراجي، العصبية والقبيلة، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2003م، ص ص197- 198.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص156.

[4]- المصدر نفسه، ص177.

فالضرائب والمغارم المفروضة على الناس هو ظلم تأباه النفوس ولا ترضى به وعليه فمن قبل بها- الضرائب- فقد رضي الذل على مكاره الموت ومن كره الموت جبن عن القتال والدفاع وبالتالي تضعف العصبية وتتلاشى.[1]

ومن الأمثلة في ذلك الضرائب التي كانت تجبى في الدولة الموحدية حيث تنوعت الجبايات في ذاك العصر بسبب ظلم الولاة وتعسفهم وعن سياسة الموحدين في تكوين الأنصار والأتباع واصطناع والولاء مما نتج عنه نفقات مالية لا طاقة لبيت المال باحتمالها حيث يذكر ابن خلدون سببا ذاك قائلا: "وهو مع هذا مضطر لذلك فيما دعاه إليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحماية".[2]

ومن أمثلة الضرائب التي فرضت في ذاك العصر خاصة على فئة التجار مثلا:

ضريبة الواجب: وهي ضريبة مقدارها 10% من قيمة السلعة، وكانت تفرض على السلع الأوروبية.

ضريبة الرطل: كانت تؤدى على وزن البضائع.

ضريبة البراءة: عبارة عن إيصال ذا قيمة يشهد للتاجر الأوروبي أنه قد أدى الواجبات الجمركية.

ضريبة الانطلاقة: كانت تؤدى عند الخروج من الميناء وتصل قيمتها إلى 1.5% من قيمة السلعة.[3]

4- الانفراد بالملك والمجد:

عندما تتمكن العصبة من الملك يحدث أن يسطر على مقاليد الحكم رئيس أقوى العصبيات التي شاركت في عملية البناء والتشييد، ومع مرور الزمن يتطلع ذلك الرئيس المتوج

[1]- بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص200.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص296.

[3]- بسام علوش، النظرية الضريبية في الفكر الخلدوني- الدولة الموحدية أنموذجا، مجلة جامعة البحث، مج39، العدد 72، 2017م، ص ص127- 128.

بالملك إلى الاستئثار بالحكم والانفراد بالمجد دون بقية الأعضاء الذين شاركوا معه، ثم يتدرج به الأمر إلى حد الاستبداد ومن ثم يخلص إلى تصفية خصومه، والمنافسين له والمقربين منه فيبدأ بالأقربين من عشيرته وأقاربه لأنهم أكثر الناس منافسة له وهم الأكثر خطورة، وهم من يمثلون العصبة الخاصة، فإذا تم له ذلك انتقل إلى إخضاع العصبة العامة واحدة فواحدة حتى يذعنون إلى سلطانه ويخضعون لسطوته.

ويرى ابن خلدون: "أن الانفراد بالملك والاستحواذ على الحكم قد يتم في عهد أول الملوك، وربما حدث في عهد الملك الثاني أو الثالث بحسب مقاومة العصبيات له، وينجر عن انفراد الملك بالحكم والمجد أن تلك العصبيات تركن إلى التكاسل والدعة، ويألف أصحابها المذلة والانقياد فيؤدي هذا إلى فساد العصبيات وضعفها وعجزها عن الدفاع مم يحتم على الحاكم اللجوء إلى اصطناع عصبيات غيرها أساسها الموالي والعبيد مستبدلا إياهم بعصبته الضعيفة".[1]

5- نهاية النسب الحاكم:

ونقصد نهاية النسب الحاكم انقراض أفراد الأسرة الحاكمة، وبنهايته ينتهي أمر العصبة الخاصة، فيؤدي ذلك إلى ظهور عصبة خاصة أخرى عوضا عنها تنتمي لفرع من فروع تلك العصبة المؤسسة للدولة تقود العصبة العامة وتتقلد زمام الأمور والسلطة، ويرى ابن خلدون بأن النسب الحاكم قد ينتهي في غالب الأحيان بانتهاء أربعة آباء، مع بعض الاستثناءات التي قد تصل بالسب الحاكم إلى الأب الخامس أو السادس، وقد ينعدم وينقرض قبل الآباء الأربعة: "واشتراط الأربعة في الأحساب إنما هو في الغالب وإلا فقد يندثر البيت من دون الأربعة ويتلاشى ويتهدم، وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس".[2]

ويعتقد ابن خلدون أن العلة في فقدان النسب الحاكم تعود إلى أن أول الآباء يكون هو الباني للمجد- الدولة- لذا تجد هذا الأب يبذل قصارى جهده في المحافظة عليه- الحكم- لأنه يدرك ما عانه من صعاب ومشاق في سبيل ذلك ثم يأتي بعد ذلك الحاكم الثاني، وهو الابن

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص220.

[2]- المصدر نفسه، ص171.

المباشر للأب الذي ربما عايش عملية البناء والتشييد، وربما شارك فيها، فيواصل مشوار أبيه مع بعض التقصير.

أما الحاكم الثالث– الأب الثالث– فيكون مقلدا لا غير والمقلد مقصر، أما الحاكم الرابع– الأب الرابع– فتقصيره يكون أكبر بحيث يتوهم في نفسه أن ما بناه آباؤه من المجد والحكم لم يكن بمعاناة ومشقة وإنما كان بسبب المجد والشرف، وليس بالعصبة والمدافعة والتضحية، فيهون من الأمر ويولي ظهره للعصبة التي كان لها دور فيما وصل إليه فيدفع هذا الأمر أهل العصبية إلى الخروج عليه وعزله عن سدة الحكم، ثم يسعون إلى مبايعة وتعيين شخص آخر يحكمهم يكون من فرع آخر من فروع تلك العصبة– أبناء العمومة– وبذلك ينتهي حسب هذا البيت الذي حكم وينتقل إلى بيت آخر.

وفي هذا يقول ابن خلدون: "إن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل محدث ثم إن نهايته هي أربعة آباء وذلك أن باني المجد عالم بما عاناه في بنائه، وابنه من بعده مباشر لأبيه إلا أنه مقصر في ذلك، ثم إذا جاء الثالث كان حطه الاقتفاء والتقليد، ثم إذا جاء الرابع قصر في طريقهم جملة..."[1]

6– الترف والرفاهية:

رأينا فيما سبق من أنه من بين أسباب تعزيز قوة العصبة الترف فهو يعمل على زيادة عدد أفراد العصبية، ولكن بالمقابل يعد الترف والرفاهية خاصة بالنسبة للعصبية الحاكمة عامل ومعول هدم لها، وذلك إذا لجأ أهل هذه العصبية– الحاكمة– إلى الإسراف في النفقات ليس النفقات الأساسية التي تنفق في بناء الدولة والهياكل القاعدية، وإنما النفقات على الكماليات واتساع الرغبات وبالتالي يحدث ذلك الخلل في الميزانية العامة للدولة، الأمر الذي يؤدي إلى إفراغ الخزينة وإفلاسها.

ومن هنا يعمد القائمون على الدولة بالالتفات إلى الرعية لتغطية ذلك العجز في النفقات المتعلقة بحاجاتهم من ترف ونعيم،[2] وهذا ما يؤثر على العصبية العامة ويؤدي إلى ضعفها

[1]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص171.

[2]– بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص194.

يقول ابن خلدون: "ويبلغ فيهم الترف غايته بما توصلوا إليه من نعيم، وغضارة النفس فيصيرون عيالا على الدولة وتسقط العصبية بالجملة..."[1]

فتفسد أخلاق الرعية وطباعهم بسبب ما وصلوا إليه من الترف في العيش ويفقدون صفات الشجاعة والبسالة الأمر الذي يقوى رغبتهم في الهروب من المشاق والصعاب، وينقلب التناصر إلى تناحر والتعاضد إلى تخاذل والكفاح المشترك من أجل المصلحة العامة إلى نزاع وصراع من أجل المكاسب الشخصية الخاصة، فيظهر الظلم إلى جانب الترف.[2]

وهكذا تتزايد عصبتهم ضعفا ونقصانا إذ كلما زادت رفاهيتهم زادت علل عصبتهم حتى تنقرض نهائيا.[3]

يقول ابن خلدون: "وعلى قدر ترفهم ونعمهم يكون إشرافهم على الفناء فضلا عن الملك، فإن عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب وإذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة..."[4]

[1]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص214.

[2]– جاسم سلطان، المرجع السابق، ص89.

[3]– بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص194.

[4]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص176.

الفصل الثاني

بنية الاقتصاد الأندلسي في عهد ملوك الطوائف

المبحث الأول: الزراعة.

لقد حظيت الزراعة بمكانة هامة عند أهل الأندلس، وهي كما عرفها ابن خلدون فقال: "اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها لازدراءها، وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه، وأحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه، ودواعيه، وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوات المكمل لحياة الإنسان.[1]

وقد عرفت الزراعة في الأندلس ازدهارا وتطورا عظيما حيث أصبحت تعد من أهم المجالات الحياتية التي برع فيها المسلمين في الأندلس، وظهر تأثيرهم ونبوغهم، وبصمتهم في هذا الميدان حتى قيل: "إن المسلمين كتبوا بداية أعمق وأكبر تطور عرفته الزراعة في هذه البقعة التي كانت آلت إلى التخلف والفساد".[2]

ولقد ساعد على هذا الازدهار والتطور عدة عوامل ومقومات نذكر منها:

المطلب الأول: العوامل الطبيعية:

أ- **خصوبة التربة:** لقد وصفت أرض الأندلس عموما بأنها: "بقعة كريمة طيبة التربة كثيرة المياه، غزيرة الأنهار".[3]

وقد ذكر كثير ممن وصف أرض الأندلس عدد من المناطق الأندلسية المعروفة بخصوبة تربتها مما أثر ذلك في جودة ووفرة المحاصيل الزراعية وتنوعها، من هذه المناطق منطقة شذونة التي قال فيها الحميري: "وكورت شذونة كوره جليلة القدر جامعة الخيرات البر والبحر كريمة البقعة، عذبة التربة.."[4]

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص509.

[2]- اكسيرايتون غارسيا، تر: سانشيز، الزراعة في اسبانيا المسلمة ضمن ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت- لبنان، ط1، 1998، ص1367.

[3]- ابن الكرد بوس، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ط، 1971م، ص129.

[4]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص339.

وكذلك اشتهرت شنترين فهي من أكرم الأراضي، ونهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر فيزرع أهلها على ثراء عند انقطاع الزريعة في البلاد، وذهاب أوانها فلا يقصر عن نمائه الطيب ولا يتأخر إناه وإدراكه.[1] الوكالة

ب- وفرة المياه: تعد أهم العوامل التي تؤثر على تطور الزراعة، بل هي أساس الزراعة والحياة على وجه الأرض لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[2].

ولذا عرفت الأندلس بوفرة مياهها، وتعدد مصادرها من أنهار، وآبار وأمطار ومما يدل على وفرة المياه في الأندلس ما ذكره ابن شباط حيث قال: " لا يتزود أحد فيها ماء حيث سلك، ولأية قصد، وكثرت أنهارها، وعيونها وآبارها".[3]

ومن أشهر أنهارها نجد وادي إبرة شمالا، ووادي دويره في الغرب، وفي الوسط نهر تاجة ويقع أعلاه وادي الحجارة، أما في الجنوب فالوادي الكبير ووادي ألمرية.[4]

وقد ساعدت هذه الثروة المائية في التمكين من زراعة مختلف المحاصيل طوال العام، يقول ابن الخطيب: "ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة، ورعيا بعد رعي طوال العام".[5]

ج- اعتدال المناخ: ساد بلاد الأندلس مناخ معتدل طوال العام، مما كان له الأثر الإيجابي في تنوع المحاصيل، وهو العامل والأثر الأكبر في ازدهار الزراعة في الأندلس فيقول أحمد المقري

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص346.

[2]- سورة الأنبياء، الآية: 30.

[3]- ابن شباط، صلة السمط وسمة المرط، تح: العبادي أحمد مختار، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 14، 1967م، ص128.

[4]- صلاح الدين وانس، تنظيم العقاري في الأندلس خلال عهد الموحدين، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ الإسلامي، فسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2016م، ص25.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، شركة الكتب العربية، مطبعة الموسوعات، مصر، ط1، 1901، ص104.

واصفا مناخ الأندلس: "بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجناب، معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه، ومشتاه ومصيفه على قدر من اعتدال وسطه الحال".[1]

2- عوامل بشرية: كان للإنسان دور مهم في عملية زراعة الأرض وفلاحتها، فقد قام باستثمار الموارد الطبيعية، وتسخيرها لمصلحته وخدمته، فهي لا تستخدم إلا بواسطته وهذا ما حصل في بلاد الأندلس، فبعد فتحها من طرف المسلمين هاجر إليها عدد كبير منهم من إفريقيا وبلاد الشام، واستقروا فيها، واحترفوا الزراعة وعملوا في فلاحة الأرض التي منحت لهم، كما عاش هؤلاء الفاتحون مع أهالي البلاد الأصلية جنبا إلى جنب يشاركونهم العمل في الأرض والزراعة. وادخل المسلمون المحاصيل الجديدة من المشرق مثل: النخيل والرمان السفرى المنسوب إلى الرصافة، والقطن والتفاح، والبطيخ السندي، وقصب السكر"[2] وغيرها من المحاصيل.

3- الأدوات الفلاحية:

تنوعت الآلات الفلاحية، والأدوات الزراعية التي استخدمها الفلاحون في الأندلس من أجل زراعة الأرض وخدمتها، والتي كان لها دور في تقدم الزراعة ووفرة الإنتاج، ومساعدة الفلاح في عمله والتخفيف عليه، ومن أمثلة الأدوات التي استخدمت في ذلك:

المحراث والسكك: التي تجرها البقر يذكر ابن العوام الآلات التي استخدمت في حراثة الأرض بالأندلس فيقول: "ولتقرن البقر في عملها أربعة أربعة في محراث واحد... وتقلب أيضا بالسكك الوثاق الطويلة.."[3]

---

[1]- المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1388هـ/ 1968، ج1.
ص ص129- 130.

[2]- مجدي خليل محمد البردويل، الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهد الإمارة والخلافة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م، ص130.

[3]- ابن العوام الاشبيلي، كتاب فلاحة الأندلسية، تح: أنور أبو سليم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، ط1، 2012، ج، ص377

آلات السقي والري: لقد ذكرنا أن الأندلس عرفت بوفرة مياهها لكثرة أنهارها ووديانها مما أتاح ذلك للأندلسيين أن يستفيدوا منها في ريّ مزروعاتهم، وخاصة "تلك الأنهار كانت تسقي لمسافات طويلة تصل إلى 20 ميلا"[1]، وذلك بفضل الآلات التي استخدمت في الريّ كالأرحاء[2] والتي قام الأندلسيون بوضعها على مصاف الأنهار وأحسنوا الاستفادة منها في نقل المياه منها إلى الأراضي الزراعية، وقد توفرت هذه الأرحاء في معظم مدن وقرى الأندلس كبيانة يقول الحميري: "وهي على نهر مربلة يأتيها من جهة القبلة، ونهر كبير عليه الأرحاء الكثيرة"..[3]

كما استخدمت السواني[4] في عملية الريّ خاصة الأراضي الزراعية التي لا يوجد بها أنهار ووجد ذلك في "قسطلة" وهي: "ثلاثة عشر ميلا من أرجونة وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرامات، ومشاربهم من الآبار ويسقون البساتين بالسواني".[5]

ومما ساعد أيضا على تقدم الزراعة إنشاء الجسور، وشق القنوات، وإقامة القناطر ومما يدل على إبداع المسلمين في مجال الريّ "محكمة المياه" والتي كانت تعقد للنظر في المنازعات الناجمة عن توزيع المياه بين الفلاحين، وكانت تعقد المحكمة كل يوم خميس عند الظهر بجوار مسجد المدينة في بلنسية، ومازالت هذه المحكمة قائمة حتى اليوم.[6]

المطلب الثاني: المحاصيل الزراعية ومناطق إنتاجها:

كانت الزراعة عماد الاقتصاد الأندلسي، وقد اهتم بها المسلمون كثيرا حتى تنوعت النباتات والأشجار والمحاصيل، وقد اشتهرت عدة مدن أندلسية بزراعة أنواع من لمحاصيل نذكر منها:

---

[1]– العذري أحمد بن عمر، نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ط، د.ت، ص24.

[2]– الأرحاء: هي نواعير عبارة عن عجلة كبير ة يديرها الماء بواسطة الدواب، الجوهر، المصدر السابق، ص1150، (باب نعر).

[3]– الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص119، الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص551.

[4]– السواني: مفردها سانية، وهو البعير أو الثور أو الحمار يربط به الحبل فيقوم بجره فيخرج القرب بالماء. ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت، ج9، ص161.

[5]– المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991، ص233.

[6]– دويدار حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامي، القاهرة، ط1، 1994، ص344.

1- **الزيتون:** يعتبر الزيتون من أهم المحاصيل الزراعية التي أنتجت في الأندلس ولقد لاقت اهتماما كبيرا من طرف الأندلسيين وكانت مدينة أشبيلية خاصة بجبل الشرف حيث كانت تنتشر على أرضه بساتين الزيتون وامتدت لمسافة أربعين ميلا حتى أن "الماشي ليسير في ظل الزيتون والتين".[1]

كما انتشرت بساتين الزيتون في كل من سرقسطة ولبلة وقسطله ومالقة، وشوذر وهي على مسيرة ثمانية عشر ميلا من قرطبة "وهي في سهلة كثيرة الزيتون جدا"[2] وحصن بلكونه كثيرة الزيتون والأشجار والعيون[3]، وقرسيس وهي على ستين ميلا من قرطبة والتي تعرف بزيتونها الكبير الحجم.[4]

2- **التين:** زرع الأندلسيون فاكهة التين في كل مكان واشتهر إقليم الشنشين بشلب بغلات التين التي كانت تحمل منه إلى كل الأقطار وهو تين طيب علك لذيذ شهي.[5]

كما اشتهر حصن قسطله على نهر البحر وهو عامر آهل وله بساتين وغلاة شجر التين كثيرا،[6] وكان من أجود التين تين مالقة والذي تغنى الشعراء في وصفه لشهرته بحسن الطعم وطيب المذاق حتى قيل: "أنه ليس في الدنيا مثله".[7]

ومن ذلك قول أحدهم:

مَالَقَه حُيِّيَتْ يَا تِينَهَا الفُلْكُ مِنْ أَجْلِكَ يَا تِينُهَا.

نَهَى طَبِيبِي عَنْهُ فِي عِلَّتِي مَا طَبِيبِي عَنْ حَيَاتِي نَهَا.[8]

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص159.

[2]- المقدسي، المصدر السابق، ص ص233- 234.

[3]- نفسه، ص ص: 233-234.

[4]- نفسه، ص ص: 233-234.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص543.

[6]- الإدريسي، المصدر نفسه، ص542.

[7]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص151.

[8]- المقري، المصدر نفسه، ص151. الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص518.

3- الرمان: كانت مالقة تعرف برمانها المرسي الياقوتي الذي لا نظير له في الدنيا،[1] كما انتشرت زراعته بمنطقة مرسية والمنكب.[2]

4- التوت: زرعه الأندلسيون بكثرة وكان يستفاد منه في تربية دودة الحرير وخاصة في منطقة ألبيرة، ووادي آش، وعرفت مدينة جيان بتربية دودة الحرير "حيث يوجد بها أكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها يربى فيها دود الحرير"[3]، وكانت النساء يساعدن في تربيته حيث يعملن على البدء بتحضين بيض دود الحرير حتى يفقص وتتصرف الغرانق إلى الجزائر.[4]

كما عرفت الأندلس أنواعا عديدة من الأشجار والنباتات المثمرة مثل: العنب، والتفاح واللوز، والموز، والجوز، والصنوبر، والكمثرى، والخوخ والأجاص والكروم وغيرها وخاصة في أوريولة[5] التي بها من الفواكه مالا تحصيل له.[6]

وينقل المقري قول ابن السعيد في ذكر ثمار الأندلس وفواكهها فيقول: "وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد بكثرتها، ويوجد بسواحلها قصب السكر والموز، المعدومات في الأقاليم الباردة، ولا يعدم منها إلا التمر، ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل".[7]

5- الحبوب والبقول: كانت زراعة الحبوب من القمح والشعير من أهم المحاصيل الزراعية التي اعتنى بها الأندلسيون بالزراعة، واشتهرت منطقة جيان والتي عرفت بمزارع وغلاة القمح والشعير والباقلي وسائر الحبوب.[8]

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ص152.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص167.

[3]- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، من كتاب الروض المعطار، نر: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1988، ص70.

[4]- ابن سعيد الكاتب، التقويم في قرطبة، د.نا، د.ط، د.ت، ص33.

[5]- أوريولة: حصن بالأندلس من كوره تدمير مشهورة ببساتينها وجنانها وكثرة فواكهها. الحميري، الروض المعطار، ص67.

[6]- الإدريسي، المصدر السابق، ص558.

[7]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص200.

[8]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص183.

كما كانت مزارع القمح والشعير وغيرهما من الحبوب تمتد لمسافات طويلة في شرق الأندلس نواحي آبدة ومرسية وألمرية وشبهت ألبيرة بدمشق وسميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار[1] وفاقت شهرة شنترين من مدائن لشبونة على النهر وخاصة فحص بلاطة حيث الحنطة تزرع فيه فتقيم في الأرض أربيعين يوما فتحصد وأن الكيل الواحد منها يعطي مائة كيل وربما زاد.[2]

أما منطقة الغرب فتميزت منطقة يبورة بكثرة محاصيلها من الحنطة وسائر البقول.[3]

6- النباتات العطرية والطبية والأفاوية:

ويذكر المقري نقلا عن ابن سعيد وابن غالب في اشتهار بلاد الأندلس بالنباتات العطرية والأفاوية والطبية فيقول: "قال ابن السعيد في مروج الذهب: "في الأندلس من أنواع الآفاوية خمسة وعشرون صنفا، ومنها السنبل، والقرنفل، والصندل، والقرفة، وقصب الذريرة وغير ذلك".

وذكر ابن غالب عن أصول الطيب خمسة أصناف: المسك، والكافور، والعود، والعنبر، والزعفران، وكلها من أرض الهند إلا الزعفران والعنبر فإنهما موجودان في أرض الأندلس.[4]

اهتم الأندلسيون بزراعة الأفاوية والتوابل، ومنها نبات الزعفران في منطقة باغه من أعمال غرناطة،[5] وبياسه وطليطلة وجيان، ووادي الحجارة وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير.[6]

كما برع الأندلسيون في زراعة الورد والرياحين حتى عدت بلاد الأندلس جنات وارقة الظلال زكية الرائحة ويذكر المقري بلنسية مبديا إعجابه بكثرة أزهارها ووردها وفواكهها وزعفرانها لدرجة جعلت الشعراء يتغنون بها قال أبو الحسن بن حريق يجاوب ابن عياش:

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص148.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص ص549- 550.

[3]- الإدريسي، نفسه، مج1، ص544.

[4]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص149.

[5]- المقري، نفسه، ص149.

[6]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص606.

بَلَنْسِيَهْ قَرَارَةُ كُلِ حُسْنٍ حَدِيثٌ صِحَّ فِي شرق وغَرْبٍ.

فَقُلْ هِيَ جَنَّةٌ حفّت رُبَاهَا بِمَكْرٍ وَهَيِّنٍ مِنْ جُوعٍ وَحَرْبٍ.[1]

ويشير المقري إلى جبل شلير حيث كانت تنمو وتنشر على أرضه الكثير من النباتات الأفاوية فيقول: "وفي قبليها –غرناطة– جبل شلير وهو جبل لا يفارقه الثلج صيف وشتاء، وفيه سائر النبات الهندي.[2]

7– محاصيل أخرى:

لقد اشتهرت بلاد الأندلس بزراعة محاصيل تدخل في مجال الصناعة والتجارة كالقطن حيث انتشرت زراعته في اشبيلية والتي وصلت إلى حد التصدير إلى إفريقيا وسجلماسة وما والاها"،[3] كما عرفت مدينتي رندة ووادي آش بزراعته أيضا[4] أما فيما يخص الكتان فنجده يزرع في كوره باجه والتي عرفت بوفرة إنتاجها واشتهرت بصناعة الكتان.[5]

المطلب الثالث: الثروة الحيوانية:

تشمل الزراعة على فرعين أساسيين هما الإنتاج الزراعي والإنتاج الحيواني، وكلا الفرعين مكمل أحدهما للآخر، وذلك أن الإنتاج الزراعي لا غنى له عن الحيوان المستأنس، كما أن الإنتاج الحيواني هو الآخر لا ينفك عن الأرض وما يخرج منها.

ولذلك تعددت المناطق الرعوية بالأندلس، واتسمت بالشساعة والخصب وكان هذا عاملا مهما في انتشار تربية الماشية وتكاثرها، ولذا اهتم الأندلسيون بتربية الأغنام والأبقار للاستفادة

[1]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص180– 181.

[2]– نفسه، ص148.

[3]– الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق،ص59.

[4]– الحميري، نفسه، ص604.

[5]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص159.

من ألبانها ومشتقاتها من السمن واللحم، وقد خص جبل الشارات الذي يقع في الجهة الشمالية من طليطلة والذي تعد ماشيته من أجود أنواع الماشية كلها ومنها يصدر إلى باقي البلاد.[1]

كما عرفت تربية الخيول المستعملة في الحروب والمعارك، وكانت تتميز هذه الخيول بضخامة الأجسام فهي: حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح،[2] كما كانت تربى الخيول في مدينة لورقه والتي اشتهرت بجودة خيلها وأصالتها ونوعها وكان يخرج منها ألف فرس من كل لون من ألوان الخيل.[3]

[1]– الحميري، صفة الجزيرة، المصدر السابق، ص132.

[2]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص199.

[3]– العذري، المصدر السابق، ص02.

المبحث الثاني: الصناعة.

عرفت الأندلس حركة تصنيع واسعة ومتنوعة، وكان أساس هذه الصناعات معتمد على الثروة الزراعية والحيوانية التي كانت تزخر بها بلاد الأندلس، إضافة إلى الثروة المعدنية الثمينة التي كانت تعتبر ثروة هائلة كان لها دور مهم في تنشيط الحركة الصناعية وتطورها.

وقد برع أهل الأندلس في استغلال هذه الثروات المختلفة في صناعات عديدة، فما هي مقومات هذه الصناعة؟ وما هي مجالات التصنيع التي نبغ فيها المسلمون الأندلسيون؟

المطلب الأول: العوامل التي ساعدت على قيام الصناعة (مقومات الصناعة):

لقد ساعدت عدة عوامل وتوفرت عدة مقومات جعلت الاقتصاد الأندلسي ينمو ويتطور خاصة في ميدان الصناعة ومن هاته العوامل ما يلي:

1- وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة:

تتوفر الأندلس على خامات مختلفة من المعادن "الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد والشب والتوتيا والزاج والطفل..."[1]

ومن المواد الخام التي اعتمدت عليها معظم الصناعات الأندلسية الأخشاب حيث كانت الأندلس تزخر بهذه الثروة من الأخشاب وخاصة في الجهات الشرقية كالقصر[2] التي يكثر فيها شجر الصنوبر وخشب الزان بجبال الشرق في اشبيلية[3] ومنه يحمل إلى جميع بلاد الأندلس، وكانت الأخشاب تدخل في مختلف الصناعات.

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص32.

[2]- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص161.

[3]- الأشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 1995، ج1، ص269.

2- وفرة اليد العاملة:

كان لأهل الأندلس الأصليين اهتمام بالصناعات والحرف، ولما فتحت البلاد على أيدي المسلمين فإنهم استعانوا في بداية أمرهم بالسكان المحليين في الصناعة وما يحتاجون إليه من آلات ومواد ثم برعوا في ذلك حتى بلغوا درجة من الإتقان والرقي حتى قيل في وصفهم بأنهم: " صينيون في إتقان الصنائع العملية فهم أصبر الناس على مطاولة التعب من تجويد الأعمال، ومقاساه الشعب في تحسين الصنائع، وهم تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها".[1]

3- وفرة المنتجات الزراعية:

لقد تحدثنا عن وفرة المنتوجات في قسم " الزراعة من هذا الفصل".

4- وجود الحضارة ورسوخها في الأندلس:

يرى ابن خلدون أن وجود الصناعات وتطورها في البلاد إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها ويضرب بالأندلس مثلا فيقول: "كالحال في الأندلس لهذا العهد فإننا نجد فيهم رسوم الصنائع قائمة ، وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعوا إليه عوائد أمصارها فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار، وما ذاك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية، وما قبلها من دولة قوط، وما بعدها من دولة الطوائف إلى هلم جرا فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه قطر".[2]

5- اهتمام أمراء بني أمية بالصناعة:

كان لاهتمام أمراء بني أمية بالصناعة الدور الكبير في إدخال كثير من الصناعات إلى بلاد الأندلس كصناعة المنسوجات والملابس التي أدخلها عبد الرحمان الداخل (138- 172هـ/ 755- 788م)، كما فتحت أبواب الأندلس أمام التيارات الحضارية الوافدة من بلاد المشرق خاصة مدينة بغداد وذلك في عهد الأمير عبد الرحمان الأوسط (206- 238هـ/

[1]- المقري، المصدر السابق، ج3، ص151.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص484.

821- 852م) والذي أسس دارا خاصة للطرز تصنع فيها ملابس رجالات الدولة، كما كان لصناعة السفن والأساطيل البحرية وصناعة الزجاج نصيب أيضا من اهتمام هذا الأمير.[1]

المطلب الثاني: أنواع الصناعات ومجالات التصنيع:

1- الصناعات الغذائية:

تعددت الصناعات الغذائية وتنوعت وذلك لوفرة المنتجات الزراعية والحيوانية المستخدمة في هذا المجال من الصناعة ومن أهم هذه الصناعات ما يلي:

صناعة الأجبان: وقد اختصت عدة مدن بصناعته فكانت مدن قنتورية وكانت تعرف بجودة جبنها يقول ابن الخطيب: "قلت قنتورية: قال يجود بها الجبن والعسل".[2] كما تفوقت شريش في صناعة المجبنات لطيب جبنها ويقول أهل الأندلس: "من دخل شريش ولم يأكل جبنها فهو محروم".[3]

صناعة السمن والعسل: وقد اشتهرت منطقة القصر وأحواز شلب بصناعته لكثرة إنتاجها من الألبان، كما انتشرت بالمنطقة- القصر- المناحل التي يجمع منها العسل بكميات وفيرة يذكر الإدريسي مدينة القصر فيقول: "وهي في ذاتها رطبة العيش خصيبة كثيرة الألبان والسمن والعسل".[4] ومهر أهل لشبونة في تصنيع العسل ووضعه في أكياس من الكتان فلا يكون له رطوبة كأنه سكر.[5]

---

[1]- عمر زعل محمد، الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2009، ص ص115- 116.

[2]- ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، 2002، ص ص104- 105.

[3]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص184.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ص544.

[5]- المقري، المصدر السابق، ص152.

صناعة الزيوت: أما استخراج الزيت من حب الزيتون فتفوقت فيه مدينة اشبيلية حتى أن معظم تجارتها كانت تعتمد عليه.[1]

كما كثرت معاصر زيت السمسم، والخص واللوز والكتان، وكان المحتسب ينهى عن عصر زريعة الكتان في معاصر الزيتون لئلا تعلق رائحته بالزيت يقول السقطى: "ويمنع معاصر الزيتون أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت".[2]

صناعة تجفيف الفواكه: مهر أهل الأندلس في تجفيف الفواكه كالعنب وصناعة الزبيب منه والذي انتشرت صناعته خاصة في قرية شاط يقول الإدريسي واصفا زبيبها: "وبقرية شاط زبيب حسن الصفة كبير المقدار أحمر اللون يصحب طعمه مرارة ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية وهو منسوب إلى هذه القرية.[3]

صناعة الخمور: عرفت صناعة الخمور والنبيذ على الخصوص انتشارا في مدن الأندلس،[4] وكانت تصنع في البيوت وتباع بالرغم من فتاوى الفقهاء والقضاة بوجوب إقامة الحد على من يعصر الخمر في بيته ويبيعها يقول الونشريسي: "وأخبرني بعض أصحابنا أن مالكا استحب أن يحرق بيت المسلم الذي يبيع فيه الخمر قيل له فالنصراني يبيع الخمر من المسلمين قال: إذا تقدم إليه فلم ينته أرى أن يحرق عليه بالنار..."[5]

صناعة الطحين والخبز: عرفت الأندلس بكثرة الطواحين بالمدن وضواحيها حيث تدار هذه الطواحين بالماء أو بالحيوان، وكان يشتغل بها عدد كبير من العمال لطحن الحبوب، وكان الخبز الذي يباع للناس له شكل ووزن محدد لذلك كانت صناعة الخبز تحتاج لدقة من الخبازين

---

[1]– المقري، المصدر السابق، مج1، ص ص158– 159.

[2]– السقطى أبي عبد الله محمد، في آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، باريس، دط، 1931، ص68.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص ص564– 565.

[4]– وذكر صاحب كتاب القوى البحرية أن النبيذ يصنع في كل مكان ويشتريه الناس علنا. أرشي بالدر لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص259.

[5]– الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، اش محمد حجي، وزارة الأوقاف المغربية ودار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1981، ج2، ص409.

ومهارة وكانت تخضع لرقابة المحتسب يقول السقطي: "وعجينة الخباز أربعة أرباع دقيق، والغبار بها من رطلين إلى ثلاثة، ولا يجعل الماء في ذلك باردا، ولا هو يغلي وسطا، ويجعل صفين ويغطى، وعدد أواقي ذلك العجين ألفا أوقية واثنان وأربعمائة أوقية، وما لم يكن كذلك فسرقة وغش"[1].

وكان الخبز يباع بالميزان في أماكن خاصة به وحده بعيدا عن الأماكن المجاورة للحرف القذرة كباعة السردين والحوت والبياطرة والحجامين يقول ابن الرؤوف في آداب حسبة ومحتسب: "ولا يمكن من بيع الخبز حوات، ولا جزار، ولا من تستقذر حرفته، ويمنعون من مجاورة أهل الحرف القذرة كبياع السردين والبياطرة والحجامين وما شبه ذلك".[2]

صناعة السمك: كانت الأندلس بلاد تعد من نفائس جزائر البحر يقول ابن حوقل في وصف الأندلس: "فأما الأندلس فهي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته".[3]

فكثرت بها الأنهار والوديان واتسعت سواحلها من جهة البحر المتوسط والمحيط الأطلسي فتعددت بها لذلك أنواع الأسماك والحيتان، ومهر الأندلسيون في معالجتها وتمليحها وتجفيفها وبرزت عدة مدن في هذه الصناعة منها: مدينة مربلة التي اشتهرت بسردينها الممتاز يقول ابن الخطيب: "قلت مربلة قال: بلد التأذين على السردين ومحل الدعاء والتأمين لمطعم الحوت السمين".[4]

وعرفت مالقة في تصنيع الأسماك المملحة كما توفرت أنواع كثيرة من السمك لا تحصى في جزيرة شلطيش فكانت تصنع بها وتوزع على المدن كإشبيلية وجهات عديدة من الأندلس

---

[1]– السقطي أبو عبد الله محمد، في آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، باريس، (دط)، 1931. ص ص70– 71.

[2]– ابن رؤوف أحمد بن عبد الله، في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، دط، 1955، ص90.

[3]– ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1996، ص104.

[4]– ابن الخطيب، معيار الاختيار، المصدر السابق، ص85.

يقول المقري نقلا عن ابن سعيد: "وفيه جزيرة شلطيش، وهي آهلة، وبحرها كثير السمك، ومنها يُحمل مملحا إلى اشبيلية".[1]

2- صناعة الحلي: تطورت صناعة الحلي تطورا كبيرا لوجود المادة الخام من الذهب والفضة، فمعدن الذهب كان يجمع من نهر لاردة، وساحل الأشبونة وكورة تدمير يقول المقري: "ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع منه الكثير ويجمع أيضا من ساحل الأشبونة".[2]

وانتشر معدن الفضة في كورة تدمير، وجبال حمة بجانة، وإقليم كرتش من قرطبة يذكر المقري: "ومعادن الفضة في الأندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال حمة بجانة وبإقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل".[3]

ولعلم أهل الأندلس وخبرتهم بطرق استخراج المعادن صنعوا من الذهب والفضة الحلي الجميلة، وأنواع السكة المختلفة.

3- صناعة المعادن: بتعدد المعادن قامت صناعات مهمة مثل صناعة آلات الحديد كالأسلحة والدروع، وآلات النحاس وخاصة في ألمرية[4] ومدينه وشقه وفيها تعمل الدروع البيضات الرشيقة وآلات النحاس والحديد.[5]

كما صنعت مراسي السفن في مدينة شلطيش إذ يوجد فيها: "دار صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعته أهل البلاد، وهي صناعة المراسي التي ترسي السفن.[6]

4- صناعة الزجاج: اشتهرت مالقه بالزجاج وصناعته خاصة الفخار المزجج والمذهب وذلك لوفرة معدن البلور يقول المقري نقلا عن ابن بطوطة: "وبمالقة يصنع الفخار المذهب

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص167- 168.

[2]- المقري، المصدر نفسه، ج1، ص143.

[3]- نفسه، ج1، ص143.

[4]- نفسه، ج1، ص163.

[5]- أبو عبد الله بن أبي بكر الزهري، كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (دط، دت)، ص82.

[6]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص344.

العجيب".[1] كما وجد معدن البلور على مقربة من حصن ورقة من عمل قرطبة وكانت بها دار صناعة الأواني الزجاجية والتي كانت تماثل في الدقة والإتقان أواني حلب بدمشق يقول ابن الخطيب: "وبها دار العجائب المصنوعة حيث الأواني تلقى لها يد القلب صنائع حلب".[2]

5- **صناعة الرخام:** كان لتوفر مادة الرخام الصقيل الملوكي وخاصة في مدينة ألمرية والتي يسميها ابن الخطيب "بلد الرخام والخام"[3] وكان يصنع من هذا الرخام الأحواض والألواح المنشورية الشكل والشواهد والتوابيت اللازمة بالمقابر يقول عبد العزيز سالم: "وكان وجود الرخام بوفرة بجبل ألمرية عاملا من عوامل تقدم صناعة الأحواض والتوابيت، وشواهد القبور".[4]

6- **صناعة المنسوجات:** تفوقت بلاد الأندلس فيها على كثير من البلاد الإسلامية في ذلك الوقت، وظهرت عدة مراكز صناعية لذلك ذاع صيتها ، فقد اشتهرت غرناطة بالثياب المختمة ذات الألوان العجيبة وتخصصت بسطتها غرناطة- بطراز الوطاء البسطي بالحرير والديباج والذي كانت له شهرة لا نظير لها يقول الحميري في الروض المعطار: "وبها -بسطة- كانت طرز الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعلم له نظير".[5]

أما صناعة المنسوجات الحريرية فقد تعددت مراكز صناعتها لتوفر المادة الأولية من الحرير حيث يذكر الحميري أنه كان في مدينة جيان وحدها أزيد من ثلاثة آلاف قرية تربى بها دودة الحرير.[6]

وقيل عن مدينة أندرش حريرها ذهب وتربها تبر منتهب،[7] كما اعتبرت مدينة شبالش بلاد معدن الحرير الذي خلصت سبائله وأثرى بزازه وحائكه.[8]

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص152.

[2]- ابن الخطيب، معيار الاختيار، المصدر السابق، ص89.

[3]- المصدر نفسه، ص ص100- 103.

[4]- عبد العزيز سالم، تاريخ ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1969، ص163.

[5]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص113.

[6]- المصدر نفسه، ص183.

[7]- ابن الخطيب، معيار الاختيار، المصدر السابق، ص111.

[8]- المصدر نفسه، ص111.

كما تأتي مدينة ألمرية في المركز الأول في صناعة المنسوجات الحريرية المتعددة الأشكال والأصناف يقول الحميري: "وكان بها –ألمرية– من كل الصناعات كل غريبة وكان بها من طرز الحرير ثمانية طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصهاني والجرجاني والستور المملكة، والثياب المعينة والعتابي والفاخر، وصوف أنواع الحرير".[1]

7–صناعة الجلود: انتشرت صناعة الجلود وخاصة جلد السفن وهو جلد خشن غليظ كجلود التماسيح واستعملت على قوائم ومقابض السيوف وقد اختصت به مدينة مالقة،[2] ودباغتها لوفرة المنتوجات الجلدية وانتشار المدابغ على ضفاف الأنهار وصنعت من الجلود السروج والأحذية والصنادل الخفيفة ذات النعال الفلينية للنساء والرجال.[3]

8– صناعة الأخشاب: كانت توجد في كل مدينة صناعة تتخصص في صناعة الأثاث والأدوات المنزلية كصناعة الكراسي والموائد لتقديم الطعام عليها.[4]

كما استغلت الغابات المنتشرة في الأندلس في تجهيز أخشابها وتصنيعه، واشتهرت طرطوشة بجبالها العامرة بغابات الصنوبر الذي يتميز بلونه الأحمر الصافي القشرة والذي لا يتغير سريعا، ولا يؤثر فيه السوس، ومهر أهلها في صناعة المراكب الكبار من خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، وأنشأت في دانية دار لصناعة السفن خاصة أنها كانت ميناء ومرسى.[5]

9– صناعة الورق: تميزت بها مدينة شاطبة، وكان يعمل بها من الكاغد مالا يوجد له نظير في العالم[6] وكان يصدر إلى كل البلاد، وقد شجع على ازدهار هذه الصناعة وإتقانها كثرة

---

[1]– الحميري، صفة الجزيرة، المصدر السابق، ص184. المقري، المصدر السابق، ج1، ص163. عبد العزيز سالم،المرجع السابق، ص155.

[2]– إبراهيم بن محمد الأصطخري، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال، مر: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والإدارة العامة للثقافة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص21.

[3]– عمر زعل محمد، المرجع السابق، ص173.

[4]– المقري، المصدر السابق، ج3، ص128.

[5]– عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص187.

[6]– المقري، المصدر السابق، ج1، ص166.

الكتب والقراءة، وهجرة الوراقين إلى الأندلس خاصة في عهد الناصر، كما أن عدد من العلماء الأندلسيين قد اشتغل بالوراقة أمثال العالم مالك بين غانم بن الحسن القرطبي (ت 305هـ-917م) الذي كان يورق ويعلم.[1]

وبلغت صناعة تسفير الكتب أي تجليدها درجة عالية من الإتقان والدقة وألفت فيها مؤلفات،[2] تشرح كيفية العناية بالكتب.[3]

10- صناعة الأدوية والعقاقير: انتشرت صناعة الأدوية والعقاقير لوفرة الأعشاب والمواد الطبية في الأندلس، وقد استخدم القسط الطيب بنوعيه الهندي والعربي، والسنبل الطيب الذي يعرف بالعصافير،[4] والجنطيانة وهي عبارة عن نبات لا يوجد إلا بالجبال في غرناطة وهو عقار عقار رفيع،[5] كما استعملوا حجر الشاذنة الذي يوجد بجبال قرطبة وهو كثير ويستعمل في ذلك التذاهيب ومداواة العين وخشونة الأجفان، أما الحجر اليهودي الذي يوجد في ناحية حصن ألبونت شمالي غربي بلنسية فهو علاج نافع لمداواة حصاة الكلى.[6]

وكان العطارون والصيادلة قد برعوا في صناعة الأدوية وكانوا يقومون بتجهيزها بناءا على تعليمات الأطباء الذين اتخذوا دكاكين لهم في الشوارع والأسواق.[7]

---

[1]- ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ط، 1995، مج 2، ص192.

[2]- منها كتاب التيسير في صناعة التسفير، بكر بن إبراهيم الأشبيلي والذي قام بتحقيقه عبد الله كنون الحسني، نشر: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، 1952- 1960.

[3]- عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص187.

[4]- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج3، ص48.

[5]- عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص188.

[6]- المقري، المصدر السابق، ج1، ص142.

[7]- عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، ص188.

المحبث الثالث: التجارة:

عرفت الأندلس في عهد ملوك الطوائف نشاطا تجاريا، وازدهارا اقتصاديا، بفضل الموقع الجغرافي والإستراتيجي اللذان سمحا لها أن يكون له دور في بلاد المغرب الإسلامي والبحر الأبيض المتوسط،[1] فكانت حلقة وصل بين أوروبا والمغرب وإفريقيا والضفة الغربية للبحر المتوسط، كما اشتهرت عدة مدن أندلسية في المجال الاقتصادي منها قرطبة[2] التي أصبحت بلدا يستثمر فيه الأموال من بلاد الأندلس ويجلب إليه الأمراء[3] ورؤوس الأموال، مما جعل التجارة الداخلية تنتعش.

يذكر أوليفا ريمي كونستيل: "إن التجارة بقيت ناشطة في أواسط القرن الحادي عشر[4] وكانت الجهات الأكثر أهمية في الحركة التجارية الركن الجنوبي الشرقي المطل على البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما جعل التجارة البحرية ذات أهمية بالنسبة للأندلس، وازدهار المدن الساحلية في المجال الاقتصادي، حيث نشطت الحركة التجارية في اشبيلية من بيع وشراء، وتكدست الثروات في أيدي أهلها.

كما شملت الحركة التجارية كل من مدينة لبنة وبلنسية ومرسيا وغيرها من المدن الأندلسية.[5]

العوامل المساعدة على ازدهار التجارة:

1- الأنهار:

ساعد المناخ المعتدل لبلاد الأندلس، وتوفر المياه لوجود شبكة واسعة من الأنهار التي شكلت طرق نهرية رئيسية، يذكر المقري: "النهر الأعظم ليس أتم حسنا من هذا النهر، يضاهي دجلة والفرات والنيل، تسير القوارب فيه للنزهة والصيد"[6]، ومن أهم الأنهار نذكر ما يلي:

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، مج2، ص05.

[2]- عبد الوهاب خلاف، قرطبة إسلامية الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دار التونسية، 1984م، ص85.

[3]- عبد الوهاب، المرجع نفسه، ص8.

[4]- أوليفا ريمي كونستيل، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكة، ص44.

[5]- عبد اللطيف دنش، المرجع السابق، ص197.

[6]- المقري، المصدر السابق، ص208.

1- نهر العسل بالجزيرة الخضراء وماءه حلو وعذب.

2- النهر الكبير بقرطبة.

3- نهر يانة نهر ماردة.

4- نهر تطوبر في مدينة شلب.

5- نهر تاجة في مدينة طليطلة.

6- نهر الزيتون في مدينة أبرة.

7- نهر جار في مدينة بلنسية.

8- نهر ملح في مدينة ألشر.

9- نهر أدرو بشرق مدينة غرناطة.

10- نهر الثلج جنوب غرناطة.

11- وادي رصيف في مدينة قرطبة،.

12- وادي أنش في مدينة بسطة.[1]

وكان لهذه الأنهار والوديان الأثر الكبير في سير التجارة وانتعاشها وتسهيل المواصلات، وسرعة إيصال البضائع بكميات كبيرة إلى المدن والموانئ ليتم تصديرها إلى خارج بلاد الأندلس.

وكان النهر الكبير الذي يربط بين الكثير من المدن تدخله السفن التجارية المحملة بمختلف السلع إلى مدينة قرطبة وجميع المدن التي يمر بها، فهو يخرج من جبل مدينة تفوره وآبدة ثم إلى بياسة ثم إلى قرطبة.[2]

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص ص240- 289.

[2]- الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص06.

وقد امتازت الأندلس بالأراضي الخصبة وكثرة المحصولات وتنوع الإنتاج الزراعي يقول الحميري: "الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها".[1]

2- الطرق التجارية:

اشتهرت الأندلس بمجموعة من الطرق والمسالك البرية والبحرية التي سهلت عملية التواصل التجاري بين مختلف مناطق ومدن الأندلس.

ومن هذه الطرق ما هو رئيسي وما هو فرعي، يسهل عملية المواصلات التجارية الأندلسية لكون مدنها تقرب من بعضها البعض، فلا يجد التاجر عناء السفر، وتسهيل عملية، تنقل السلع المختلفة والمنتجات والمصنوعات الجاهزة إلى الأسواق.

1- مسلك بري من مدينة غرغيرة إلى مدينة اشبيلية مسافة يومان.

2- مسلك بري من مدينة اشبيلية إلى مدينة ليلة مسافة يومان.

3- مسلك بري من مدينة أخشينية إلى مدينة شلب مسافة ستة أيام.

4- مسلك بري من مدينة شلب إلى مدينة قصر ورداسن مسافة خمسة أيام.

5- مسلك بري من مدينة لشبونة إلى مدينة شنترة مسافة يومان.

6- مسلك بري من مدينة شنترين إلى ألبيرة مسافة أربع أيام.

7- مسلك بري من مدينة طلبيرة إلى طليطلة مسافة ثلاثة أيام.

8- مسلك بري من مدينة قرطبة إلى ألمرية مسافة سبعة أيام.

9- مسلك بري من مدينة ألمرية إلى مرسية خمسة أيام.[2]

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، نفس المصدر، ص32.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص111.

جميع هذه المدن مشهورة بالغلات والتجارة والكروم والأسواق، واشتهرت الأندلس بتربية الحيوانات واستغلالها في نقل البضائع المختلفة مستخدمين العربات، ومن الحيوانات المشهورة الخيول والحمير والثيران خاصة تربية البغال، يشير ابن حوقل: "تختص بالبغال... وبها يتفاخرون ويتكاثرون، ولهم منها نتاج ليس كمثله في معادن البغال المذكورة وأصقاعها المشهورة من أرمينية".[1]

3- كثرة الأسواق:

عرفت الأندلس الكثير من الأسواق وتعددها بالمدن الأندلسية، حيث الأسواق الكبيرة والمتوسطة والجوارية بالقرب من المجمعات السكانية، يشير ابن حوقل عند زيارته لبلاد الأندلس بقوله: "إن اشبيلية مشهورة بالتجارة والأسواق".[2]

1- سوق الزياتين والدقاقين والصيارفة.

2- سوق الحذاءين والطرازين والسماكين والقصابين.

3- أسواق القمح، وباعة البقل وأصحاب الفاكهة.

4- سوق الرياحين والخبازين والعطارين والدباغين والنجارين وغيرهم.[3]

وقد ساهمت المنتوجات المحلية هي أخرى في انتعاش الاقتصاد الأندلسي فقد شكلت عصب التجارة الداخلية منها النباتية والحيوانية وأخرى مصنعة، ومواد الخام، فالتبادل التجاري لهذه السلع بين المدن الأندلسية نفسها أصبح عاملا مهما في نمو الحركة التجارية في القرن الخامس للهجري، الحادي عشر ميلادي، حيث ساهمت المناطق الريفية الخصبة في تزويد المدن الأندلسية بالحد الأدنى من المواد الغذائية، يذكر ابن خلدون: "إنه مما يراعي أيضا

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص110.

[2]- المصدر نفسه، ص112.

[3]- نفسه، ص114.

المزارع، فإن الزروع هي الأقوات، فإن كانت مزارع البلد أقرب منها، كان ذلك أسهل في اتخاذه وأقرب إلى تحصيله".[1]

وقد اشتهرت المحاصيل الزراعية في بلاد الأندلس وكان القمح المحصول الرئيسي باعتباره من العناصر الغذائية وجاءت زراعته في إقليم غرناطة وبياسة ثم يأتي بعده زراعة محصول الشعير والأرز، ويعد الأرز الغذاء الثاني بعد القمح حيث يصبح قوت الفقراء والفلاحين، وعرفت الأندلس شيوع زراعة الأشجار المثمرة الفاكهة والخضروات، مما جعل أسعار الفاكهة في متناول جميع السكان نظرا لاستقلالية إمارات ملوك الطوائف بعضها عن بعض.[2]

يقول ابن حوقل: "ذكر المسافات بين قرطبة إلى اشبيلية يومان وهي مدينة كثيرة الخير والفواكه والكروم والتين وهي على وادي قرطبة"[3].

وذكر كل من مدينة قرطبة واشبيلية وبطليوس وبلنسية، ألمرية ومرسية، بقوله: "وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلات والكروم والتجارة والعمارات والأسواق والبيوع".[4]

واشتهرت الأندلس بتصدير الفواكه خاصة فاكهة التين، يقول المقري: "وبمالقة التين الذي يضرب به المثل بحسنه، ويجلب حتى للهند والصين".[5]

كما زخرت بلاد الأندلس بصناعة الآلات الحديدية والمتاجرة بها، يذكر المقري: "وأما آلات الحرب والتراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغافر فأكثرهم أهل الأندلس".[6]

كما عنيّ الحرفيون بصناعة الفؤوس والمسامير والأبواب الحديدية والمراسي التي ترسوا لها السفن وصناعة الدروع والسروج وبيعها في الأسواق يقول الإدريسي: "مدينة شلطيش لها

---

[1]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص16.

[2]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص110.

[3]– المصدر نفسه، ص111.

[4]– نفسه، ص111.

[5]– المقري، المصدر السابق، ص151.

[6]– المصدر نفسه، ص202.

سوق وبها صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه، وهي صنعة المراسي التي ترسى بها السفن والمراكب".[1]

واشتهرت مدينة اشبيلية في الصناعات الفولاذية مما زخرت به الأسواق الأندلسية، وعرفت هذه المدينة صناعة الصياغة وخصص سوقا لها.[2]

وهذا راجع إلى وفرة المعادن النفيسة، يذكر الحميري: "فيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق".[3]

[1]– الإدريسي، المصدر السابق، ص542.

[2]– المقري، المصدر السابق، ص200.

[3]– الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق، ص39.

الفصل الثالث

الصراعات العصبية في عهد ملوك الطوائف

"الدوافع والأسباب، النتائج والآثار"

تمهيد:

بعد إعلان إلغاء الخلافة بقرطبة سنة (422هـ1030م)، استقلت كل طائفة، سواء كانت قبيلة أو موالية لقبيلة، أو تجمعا، أو فرقة، بناحية من نواحي الأندلس، لتقوم على أنقاضها عدد من الدول والممالك، التي انتهجت العصبية القبلية، والنزعة العرقية، وتكونت بذلك أربع أحزاب كبرى كل حزب يضم مجموعة من الأقاليم والمناطق أساس حكمها العصبية القبلية والنزعة العرقية.

الحزب الأول: ويمثله الموالي العامرية، والذين كانوا معظمهم من الصقالبة، واستوطنوا شرق الأندلس في كل من: دانية وألمرية، ومرسية وبلنسية وشاطبة[1].

الحزب الثاني: ويضم البربر من بني زيري المنحدرين من قبيلة صنهاجة، بني حمود من بقايا الأدارسة الحسنيون، وبني برزال، فاستقر بنو زيري بغرناطة، بينما سيطر بنو حمود على مالقة، وبنو برزال[2] في قرمونة، وقد كانوا متكاتفين ومتناصرين على من يناؤهم من الأمراء[3].

الحزب الثالث: ويعد أهم الأحزاب فقد مثله العرب الذين كان لهم حضور مميز حيث تشكل هذا الحزب من: بني عباد اللخميين في إشبيلية، وبني صمادح في ألمرية وبني زفيل في شقورة[4]،

وبني قرّة في رندة[5]، وكان هؤلاء نمطا واحدا متظاهرين على البربر وغيرهم"[6].

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص 411.

[2]– بني برزال: يذكر صاحب مفاخر البربر أنهم فخذ من زناتة من بني يفرن نسبهم صاحب المعجب إلى أنهم بطن من صنهاجة. أبو علي صالح، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، دار رقراق للطباعة، الرباط، 2008، ص: 61.، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1994، ص: 157.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 455.

[4]– 13. شقورة: مدينة من أعمال حيان الأندلسي، بها جبل شقورة بنبات الورد والعطر والسنبل. الرومي الطيب، الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 349.

[5]– رندة: بالأندلس من مدن تاكرنا وهي مدينة بها آثار كثيرة. الحمري، الروض المعطار، المصدر نفسه، ص: 269.

[6]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 455. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان، دط، 1997، ص:13.

الحزب الرابع: ويضم بنو جهور (موالي بني أمية) في كل من قرطبة، وجيان، وبياسة، وابدة ، وقد استمرت هذه الإمارة إلى أن سقطت في يد العباديين وزالت دولتهم بعد أربعين سنة من الحكم[1].

وقد أثرت النزعة القبلية والعصبية على علاقات ملوك الطوائف مما أثر على الواقع السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي للمسلمين في الأندلس، فما هي دوافع هذا الصراع وأسبابه؟ وما نتج عنه من نتائج وآثار؟

المبحث الأول: دوافع وأسباب الصراع

المطلب الأول: المنافسة في جمع المال وتحقيق المصالح الشخصية

حينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس كان دافعم الأول، وهدفهم الأسمى هو نشر الإسلام، وتبليغه للناس في البلاد، ولم يكونوا يهدفون إلى مطامح دنوية ولا أهداف سياسية، أو مصالح ذاتية، وكان هذا السبيل هو نفسه الذي سار عليه القادة والولاة بعدهم، وقد ظل كثير من الأمراء والخلفاء بالأندلس بعد عصر الولاة محافظين على هذا الاتجاه، وهذا ما أعطى دولتهم قوة ورهبة أمام القوى المعادية.

ولكن حينما سقطت الخلافة واندثرت عرى الدولة، وقام على أنقاضها دول الطوائف أصبح حب الدنيا، والأطماع السياسية التوسعية، والسعي للتحقيق المصالح الشخصية والنزوات النفسية هدفا مهما وسبيلا أوحدا يسعى إليه الكثير من ملوك ورؤساء تلك الدول، ولعل أوضح مثال ودليل على هذا الوضع والأمر تعدد ألقابهم حيث تلقبوا بأسماء الخلفاء من قبلهم طمعا في المجد والشرف وفي هذا يقول الشاعر ابن هانئ ساخرا منهم ومستهزءا من حالهم:

[1]– ابن كربوس، ابن كردبوس، تاريخ الأندلس، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، 1971 ص: 83. وابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 144.

مِمَّـــا يُزْهِـــدُنِي فِـــي أَرْضِ أَنْـــدَلُسٍ أَسْـــمَاءُ مُعْتَمَـــدٍ فِيهَـــا وَمُعْتَضِـــدِ
أَلْقَـــابُ مملكـــة فِـــي غَيْـــرِ مَوْضِـــعِهَا كَـالهِرِّ يَحْكِـي انتِفَاخًـا صُورَةَ الأَسَدِ[1]

ومن المعاصرين الذين أعطوا وصفا دقيقا لتلك الحالة التي وصلت إليها الأندلس في تلك الحقبة ابن حزم حيث يقول: "فضيحة لم يقع في العالم إلى يومنا مثلها، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها كلهم يسمى بإمرة المومنين ويخطب لهم في زمن واحد"[2].

ولتحقيق تلك الأطماع الدنيئة، والأهداف الخسيسة فإن الكثير من ملوك الطوائف كانوا لا يتورعون في استخدام أي وسيلة يرون فيها تجسيدا لطموحاتهم السياسية والمادية ولو أدى ذلك بهم إلى تقديم تنازلات دينية أو خلقية أو سياسية بقول ابن حزم: "والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حرم المسلمين وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم...وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس"[3].

فهذا المعتضد بن عباد (433هـ 461هـ/ 1041م-1068م) فإنه لما وليّ الحكم بعد أبيه، بدأ بقتل وتصفية كل خصومه من رجال الدولة المنافسين له، حتى يستبد بالحكم وينفرد بالأمر يقول المراكشي: "فمنهم من قتله صبرا، ومنهم من نفاه عن البلاد، منهم من أماته خمولا وفقرا إلى أن تم له الأمر وما أراد..." [4].

أما علي بن حمود فإنه قام بتحريض الناس بعضهم على بعض، وبث الفتنة والفرقة بينهم يقول ابن عذارى: "توصل إلى أعيانهم بقوم من شرارهم، ففتحوا لهم أبوابا من البلايا

---

[1]- ابن كربوس، المصدر السابق، ص: 14.

[2]- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1980، ج3، ص ص: 173-176.

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص 173 .

[4]- المراكشي، المصدر السابق، ص: 141.

أهلكوا بها الأمة، وتقربوا إليه بالسعاية فيهم، وصار شطر الناس أشراطا على سائرهم، قلما تلقى أحدا إلا بوكيلين عليه، وأظلمت الدنيا وأبلس أهلها، وغشيهم من الله ما غشيهم"[1].

كما أن بعضهم سلك مسلك جمع المال من العامة بكل الأساليب والطرق، وضم تلك الأموال التي جمعوها غصبا وظلما إلى أموالهم ليكاثروا بها أمثالهم من الملوك.

وكان من أبرز من سلك هذا الطريق –جمع المال–: مبارك ومظفر العامريين حاكمي مدينتي بلنسية وشاطبة، حيث أثقلا الناس بالضرائب والمغارم وعدوانا يقول ابن عذارى: "وبلغت جباتها لأول ولايتها إلى مائة وعشرين ألف دينار في الشهر يستخرجانها بأشد العنف من كل صنف حتى تساقطت الرعية...وسلك مبارك ومظفر سلوك الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور، والتباهي في عليات الأمور إلى أبعد الغايات"[2]، ويذكر أن هذا المنحى كان أيضا سيرة وزرائهما وأصحابهما فيقول: "واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابهما، ومن تعلق بهما من وزرائهما فاحتذوا فعلهما"[3].

كما يذكر ابن بسام أن أبا يحيى: "اقتصر على قصر يبنيه، وعلق يقتنيه من اللذة ويستولي عليه، ويبرز فيه"[4].

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، مجد2، ص: 388.

[2]– ابن عذارى، المصدر نفسه، ص: 415.

[3]– المصدر نفسه، مج2، ص: 415.،

[4]– ابن بسام، الذخيرة في محانس أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، ق1، مج2، ط2، 1399هـ. ص: 732.

أما حسام الدولة ابن رزين[1] فقد نافس جاره إسماعيل بن ذي النون في جمع المال وفي خلال البخل وفرط القسوة، و"هو أول من بالغ الثمن بالأندلس في شراء الجواري والفتيات اشترى جارية ابن عبد الله المتطيب بعد أن أحجمت الملوك عنها لغلاء سومها بثلاثة ألاف دينار"[2].

وكان أبو الوليد ابن جهور قد استباح أموال الناس، وسلط على الرعية أهل الفساد والفجور، وأهمل مسؤولياته الشرعية، بل تعاظم على من حواليه، "حيث تسمى بذي السيادتين المنصور بالله، والظاهر بفضل الله"[3].

هكذا كان حال أولئك الملوك أشد حرصا على جمع المال، والتفاخر في كثرته وإنفاقه في بناء القصور، واللذات والفجور، ومن أجل تحقيق ذلك كانوا لا يتورعون في استخدام أي وسيلة حتى ولو كانت تخالف مبادئ الدين والقيم والأخلاق.

المطلب الثاني: العصبية والعنصرية والثأر:

عرف عصر الطوائف صراعات ومنازعات بسبب السعي وراء المصالح الشخصية والمطامع المادية والتوسعات الجيوسياسية وكانت هناك أيضا خلافات ونزاعات أوجدتها العصبة القبلية والنزاعات العرقية والنعرات الجاهلية استعملت فيها كل الأساليب البشعة والوسائل المحرمة للقضاء على الآخر وأصبحت هذه الأساليب في التعامل مع الخصوم الإخوة من السمات البارزة في كل الصراعات والنزاعات والحروب التي وقعت بين ملوك الطوائف، ومن بين الحقائق التي تصور لنا بشاعة وقسوة التعامل ما حدث بين المعتضد ابن عباد، وخصومه من البربر، حيث وصفه ابن عذارى بأنه هو الذي قطع دابر أمراء البرابرة وصدم شرهم بشرهم، وضرب زيدهم بعمرهم: "وكان يصلهم بالصلات الجزيلة سياسة لهم وطمعا في استئصالهم"[4].

وكان الأمراء من البربر الذين غدر بهم المعتضد، صاحب رندة حليفه وصديقه ابن أبي قرة وصاحب أركش عبدون بن خرزون، وصاحب مورور محمد بن نوح الدمري، حيث قام

[1]– ابن رزين: هو ابن رزين الملقب بحسام الدولة، كان شاعرا مجيدا حسن الخلق جميل القشرة، ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 430–431.

[2]– المصدر نفسه، مج2، ص:430.

[3]– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق ص: 149. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 465.

[4]– المصدر نفسه، مج2، ص: 492.

بدعوة جيرانه أمراء البربر، فقام بأسرهم مدة طويلة مع أخذ خيلهم وسلاحهم، ثم تظاهر بتدارك الأمر وإصلاحه، ومن أجل تطييب خاطرهم أولم لهم وليمة ولكن في حقيقة الأمر كان يظمر الخديعة، وبعد تناول الطعام، دعاهم لدخول الحمام بعد أن جهزه لهم بأنواع الطيب والريحان، فلما اطمأنوا للأمر أمر فتيانه بسد أبواب الحمام بالأجر والحجارة، وأمر القائم على السخان بإشعال المزيد من الحطب وزيادة اللهب فالتهب الحمام واشتعل نارا، فظل هؤلاء الأمراء بداخله لا يستطيعون نجاة ولا هربا حتى ماتوا حرقا واختناقا[1].

بهذا المستوى من الخسة والغدر، والعصبية المقيتة كانت معاملة المعتضد لخصومه من البربر بل يذكر المؤرخون أن المعتمد بن عباد كانت له خزانه في جوف قصره أودعها رؤوس الملوك الذين قضى عليهم من البربر وغيرهم، سواءا بالحرب أو بالختل والغدر، وقد سمى ذلك المكان بـ "حديقة الموت" حيث جعلها رمزا لقوته وبطشه، وإنذارا بالموت لكل من تسول له نفسه من معارضيه بالخروج عن طاعته[2].

لم تكن هذه العصبية صفة ابن عباد وحده بل كانت موجودة عند باقي ملوك الطوائف فهذا حاكم طليلطلة يحيى بن ذي النون (435هـ 460هـ/ 1043م-1068م) [3] وبعد استيلاءه على مدينة بلنسية سنة 457هـ/1065م فإنه عمل على استئصال أصول وأثار بني عامر، وقام بتدعيم عصبته بأبناء جلدته من قبائل بني ذي النون، وبعض الفئة الاجتماعية الأخرى التي لم تشكل خطرا على مملكته وفي هذا يذكر ابن حيان قائلا: "فلما قصّ يحيى بن ذي النون الملقب بالمأمون أثار آل ابن عامر، واجتث أصلهم من بلنسية آخر الدهر"[4].

كما بلغت العصبية والهمجية أوجها عندما أصبح القتل والفتك بالأبرياء هو السبيل الوحيد للانتقام والثأر لمقتل الولد دون التحقيق والتبين في أمر مقتله وهذا ما حدث عندما أقدم باديس بن حبوس صاحب غرناطة بقتل جماعة كبيرة من أبناء عمه ومن الجواري والفتيان

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 493. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 217.

[2]- ابن الأبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ج2، ص: 50.

[3]- يحيى بن ذي النون: الملقب بالمأمون بعد وفاة أبيه سنة (435هـ/1043م) سار على أمر أبيه في سياسة الدولة بالعدل والقانون فاستقام ملكه وقويت دولته. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 177.

[4]- ابن بسام، المصدر السابق، ق3، مج1، ص: 41.

انتقاما لمقتل ولده بلقين الذي مات بعد أن دسّ له السّم في الشراب الذي قدم له في إحدى الولائم التي استدعى لها، وكانت المكيدة مدبرة من قبل اليهودي يوسف بن نغرالة عامل أبيه ويحدثنا ابن عذارى عن الحادثة فيقول: "وكان لباديس ولد اسمه بلقين فرشحه للأمر من بعده، ولقبه سيف الدولة، وكانت مبغضا في هذا اليهودي يوسف بن نغرالة فبلغه يوسف أن بلقين تكلم فيه عند أبيه فبلغ ذلك من اليهودي كل مبلغ ودبّر الحيلة عليه...وجعل السم في الكأس لابن باديس فحمل إلى قصره فقضى نحبه في غدّه، ولم يعلم أبوه سبب موته فقرر اللعين عنده أن أصحاب وبعض جواريه سمموه، فقتل باديس من جواري ولده، وفتيانه وبني عمّه جماعة كبيرة"[1].

كما لم تسلم فئة أهل الذمة من هذه العصبية والنعرة الجاهلية، هاته الفئة التي كانت تتمتع بحرية أداء شعائرها وطقوسها الدينية في الأندلس وفي بلاد الإسلام بشكل عام مما كفل لها الإسلام من حفظ الحقوق وصيانة الأعراض وحرية الدين في إطار عام تحكمه قواعد الدين وما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾[2]، مما نتج عنه تعايش المسلمين مع هذه الفئة وعيشها في بلاد الإسلام دون عصبة عرقية ودينية، ولكن بعض المصادر التاريخية تذكر أنه حدثت تجاوزات في حق هذه الفئة خاصة في عصر الطوائف مثل ما فعله المعتضد بن عباد حين أجبر القساوسة النصارى على الزواج والختان[3].

أو كما فعل عبد الله بن بلقين حين فرض على اليهود "أليسانة" ذهبا كثيرا كمساهمة منهم لتقوية البلاد[4].

ولكن الأمر لم يبق عند هذا الحد بل تعداه إلى القتل والتصفية العرقية التي لا مبرر لها لأن أخذ الكل بجزيرة الواحد لا يقرها الدين، ولا الأعراف الإنسانية، ولا تتماشى مع سماحة

---

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 489.

[2]– سورة البقرة، الآية: 256.

[3]– ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقي، القاهرة، دط، 1955، ص: 49.

[4]– عبد الله بن بلقين، المصدر السابق، ص: 130.

الإسلام الذي يقر العقوبة على قدرها دون تجاوز الحد إلى الإفساد بقوله تعالى: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾[1].

ولكن العقوبة التي تحركها العصبة، وتغذيها العنصرية إذا ما استحكمت في النفوس أتت على الأخضر واليابس، وهذا ما حدث ليهود غرناطة حيث قتلت منهم فئة عظيمة ولم ينج منهم إلا من قدرت له النجاة، وكان الواجب في هذه الحادثة أن يقطع رأس الفتنة فيكون عبرة دون الاعتداء عل الآخرين لاسيما الآمنين في دورهم، ولكن سوء التصرف والعصبة والحقد الدفين في النفوس يعمي الأبصار، ويحجب العقول ويؤدي إلى المهالك والإفساد يقول ابن عذارى في هذه الحادثة: "وصارت لليهود حوله على المسلمين في دولته –يوسف بن نفرالة إلى أن حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجته لضرب رقبته، وقتل جملة عظيمة من أهل ملته وذاك أن هذا اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة فنمى هذا التدبير إلى صنهاجة فدخلوا إلى دار اليهودي مع جملة من العامة فاختفى –اليهودي– في بيت فحم وسوّد وجهه وتنكّر فعرفوه وقتلوه وصلبوه على باب المدينة، وقتل في هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة ونهبت دورهم وذلك سنة 459هـ"[2].

هكذا كانت أحداث هذه الحادثة المنكرة التي لا تنم إلى الإسلام بصلة، وإنما هي العصبية المقيتة التي تحركها الأهواء والأحقاد الضغينة.

المطلب الثالث: المصلحة الاقتصادية:

لقد كان واقع ملوك الطوائف واقعا يندي له الجبين، ويأسف له العاقل اللبيب فالراضي منهم كان يضمر التوسع، والساخط ينوي الثأر والانتقام، وهذا ما كان سببا في اشتعال نار الحرب بينهم، وأدام جحيم المعارك لسنوات عديدة عليهم دون هدف سام، أو غاية نبيلة، فكان الواحد منهم يحشد الحشود، ويجهزة الجيوش لمحاربة أحد جيرانه من ملوك الطوائف، يبالغ في

[1]– سورة النحل، الآية: 126.

[2]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص:489.

ذلك حتى أن كل واحد من ملوك الأندلس حين يسمع بتلك التعبئة للقتال يتوقع أنها ستوجه نحوه، ويظن أنه لايراد سواه[1].

ولقد أمعن ملوك الطوائف معظم سنين حكمهم في ذلك الصراع والقتال بسبب الجشع والطمع، والسعي وراء التوسع والجري خلف المصالح، وتحقيق المكاسب المادية والذاتية، ومن أبرز هذه الصراعات التي كان بينهم نذكر ما يلي:

أ- الصراع على مدينة لبلة:

تعد مدينة لبلة من أقدم مدن الأندلس، بنيت في زمن القياصرة، تبعد عن إشبيلية بحوالي أربعين ميلا فرسخ لها معاقل توصف بالمنعة والحصانة، وتعرف لبلة الحمراء، وبها أسواق وتجارات وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال، أرضها سهلية جبلية كبيرة الزيتون والثمار والنباتات العطرية، بلغت جابتيها في عهد الحكم بن هشام خمسة عشر ألفا وستمائة[2].

وكانت لبلة هي سبب الصراع بين القاضي ابن عباد صاحب إشبيلية، وابن الأفطس عبد الله بن مسلمة صاحب بطليوس، وكلا الطرفين كان يسعى للاستيلاء عليها لحصانة موقعها ومنعة أسوارها، وخاصة ابن عباد القاضي والذي كان يرغب في أخذها ليتخذها نقطة ارتكاز رئيسية في غرب بلاد الأندلس لينطلق منها لتحقيق توسعاته خاصة على حساب الممالك الصغيرة المتناثرة في غرب الأندلس[3]، مثل دولة بني مزين في شلب غربي قرطبة، والتي كانت عامرة بالأسواق، كثيرة البساتين والمياه ولها مرسى في الوادي الكبير[4]، ودولة بني هارون في شنتمرية الغرب والتي تعد من أمنع الحصون بنيانا وتقع على ساحب البحر وبها دار الصناعة السفن والمراكب[5]، ودولة بني بكر في أوتبة الواقع على خليج البحر المحيط الذي يبعد

---

[1]- راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2011، ، ص: 404.

[2]- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص: 36.

[3]-عبد الحليم محمود، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (دط، دت)، ص: 284.

[4]- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص: 342.

[5]- المصدر نفسه، ص: 347.

عنها حوالي ميل واحد[1]، وشلطيش الواقعة غرب إشبيلية على البحر، والتي يوجد بها دار لصناعة الحديد والسفن، وغيرها[2].

وهذا ما يفسر رغبة كليهما في التوسع على حساب هذه المدن الصغيرة لاستغلال خيراتها وما تزخر به من ثروات فلاحية ومعدنية، وحتى تكون لابن عباد خاصة واجهة على البحر المحيط لأن غالبية هذه المدن تقع قريبة من المحيط أو على ساحله وبالتالي سهولة في حركة تنقل التجار وتبادل السلع والتي لها أثر بالغ في تحصيل الأموال عن طريق الضرائب والأتاوات التي تفرض على التجار والسلع، وبالتالي مداخيل إضافية تخفف من أعباء ثقل الجزية السنوية التي كانت تدفع سنويا لا لفونسو لشراء السلم والأمن[3].

فكانت هذه أسباب الصراع بين المملكتين والذي استمر من عام 421هـ/1030م، حتى عام 444هـ/ 1052م، وانتهى بعقد صلح بين الطرفين[4] كان ثمرة جهود مضنية بذلها ابن جهور أمير قرطبة في ذلك[5].

حصل أول صدام بين ابن عباد وابن الأفطس عام 421هـ/1030م على لبلة، حيث أرسل ابن عابد إلى صاحب قرمونة محمد بن عبد الله البرزلي ليستعين به في السيطرة على المدينة إلا أن ابن الأفطس سبق ابن عباد بإرسال ابنه المطفر محمد إلى المدينة واستطاع أن يدخلها، فلما سمع ابن عابد بما فعله ابن الأفطس أرسل هو كذلك ابنه إسماعيل على رأس الجيش ومعه حليفه صاحب قرمونة فقاما بحصار المدينة، بعدها قامت بينهما معركة شديدة ومقتلة عظيمة كانت الهزيمة فيها من نصيب ابن الأفطس وجيشه مع أسر المظفر ابن

[1]– الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص: 63.

[2]– المصدر نفسه، ص ص: 343-344.

[3]– ابن عبود أمحمد، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشوبخ ديسريس، تطون، المغرب، 1989، ص: 171.

[4]– سحر عبد العزيز، مملكة بطليوس الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (دط. د.ت)، ج1، ص: 388.

[5]– المرجع نفسه، ج1، ص: 405.

الأفطس"[1]، ليؤول مصير المدينة إلى ابن عباد بعد تنازل أميرها الملقب عميد الدولة محمد بن عيسى لابن عباد إتقاء شره[2].

بعد الاستيلاء على مدينة لبلة والتي أصبحت تابعة لابن عباد انطلق هذا الأخير لتنفيذ مشروعه التوسعي على حساب الممالك الضعيفة، وإمارة ولبة[3] وشلطيش[4] سنة 443هـ/1051م، بعد أن احتال على صاحبها البكري عبد العزيز فسلبه إياها[5]، وبهذا تكون إمارة ابن عباد قد امتدت رقعتها من ضفاف الوادي الكبير شرقا حتى سواحل المحيط الأطلسي الغربية والجنوبية[6].

والجنوبية[6].

ب- الصراع على وادي الحجارة:

تقع وادي الحجار في شرق طليطلة، وهي تتميز بأسوارها الحصينة ومياهها المعينة عامرة بالأرزاق جامعة لشتات المنافع والغلات من بساتين وجنات وكروم وزراعات وخاصة نبات الزعفران الذي يحمل منها ويصدر إلى سائر البلاد[7].

كانت هذه المدينة محل الصراع والنزاع بين مملكتي سرقسطة وطليلطة وخاصة عندما مال أهلها إلى الانضمام إلى سليمان بن هود صاحب سرقسطة والذي شجعهم على ذلك طمعا في خيرات المدينة وموقعها الحصين الذي يعتبر خط دفاع قوي ضد هجمات المعتدين، وخاصة أن سرقسطة لم تكن معالمها الجغرافية والطبوغرافية تساعد على قيام الفلاحة وتنشيط التجارة خلافا لما كانت عليه باقي الدويلات الطائفية ولدا سعى ابن هود إلى الاستيلاء على وادي الحجارة المعروفة بغناها الطبيعي والمادي[8].

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 449.

[2]- سحر عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص: 390.

[3]- ولبة: مدينة صغيرة بغرب الأندلس يحيط بها سور من حجارة تطل على جزيرة تسلطي شبها أسواق وصناعات. الإدريسي، المصدر السابق، ص: 541.

[4]- شلطيش: جزيرة يحيط بها البحر من كل ناحية إلا من ناحية الغرب. الإدريسي، المصدر نفسه، ص: 542.

[5]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 43.

[6]- المرجع نفسه، ص ص: 45-48.

[7]- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص: 193/ الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 606.

[8]- أمحمد بن عبود، التاريخ السياسي لإشبيلية، المرجع السابق، ص: 170.

وقد انتهى تدبير ابن هود إلى إرسال ولده أحمد ابن هود للاستيلاء عليها وهذا ما حصل فثارت ثائرة يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة والذي كان يطمع أيضا في خيرات المدينة، ودارت المعارك بينهما، وكانت الغلبة لابن هود[1].

لم ينته الصراع إلى هذا الحد بل استمر بين الطرفين، وقد استعان كلاهما بالنصارى وجرت بينهما حروب دامت من عام 435هـ/1043م إلى عام 438هـ/ 1046م، ولم تنته إلا بوفاة سليمان بن هود يقول ابن عذارى: "ودامت الفتنة ما بين هذين الأميرين ابن هود وابن ذي النون على هذه الحال من سنة خمس وثلاثين إلى آخر سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة، وانقطعت بموت سليمان بن هود في السنة المذكورة"[2].

وقد خلفت هذه الصراعات أثار عسكرية واجتماعية ونفسية واقتصادية جسيمة[3] سفكت فيها الدماء الكثيرة على أيدي النصارى، وصرفت فيها الأموال الطائلة إلى ملوكهم ونهيت فيها قرى وخربت الزروع والثمار وحصدت المحاصيل وحملت إلى ملك قشتالة وذلك على مرأى ومسمع سليمان بن هود وجنده الذين تحصنوا بحصونهم وتركوا رعيتهم لسيوف النصارى"[4].

ج- الصراع على قرطبة:

كانت قرطبة مثارا للخلاف بن بني عباد ملوك إشبيلية وابن ذي النون صاحب طليطلة وذلك لأهميتها فهي دار محل الخلافة المندثرة، ومدينة الأندلس الأولى ووجهت كل الأندلسيين، وقاعدة الأندلس وأم مدائنها[5]، وما تزخر به من ثروات كامنة في باطنها كالحديد في قسطنطينة* وفريش*[6] الواقعتي بين قرطبة وإشبيلية وما لهذا المعدن من أهمية في صناعة آلات آلات الحرب وتجهيز الجيوش، ومعدني الذهب والفضة الذين كان يجمع من نهر لاردة وكورة

---

[1]- سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج1، ص: 412. عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 99.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 501.

[3]-حمد بن صالح السجيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط1، 2002، ص: 113.

[4]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص: 422.

[5]- الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص: 135.

*- قسطنطنية: عبارة عن حصن عامر وأهل وبجباله معدن الحديد النقي. الإدريسي، المصدر السابق، ص: 574.

*- فريش: حصن قريب من حصن قسطنطنية يعرف بالحددي والرخام الرفيع، الإدريسي، المصدر نفسه، ص: 574.

[6]- أرشيبالد ر. لويس، المرجع السابق، ص: 259.

تدمير، وجبال حمة بجانة وإقليم كرتش من أعمال قرطبة[1]، وقد كان لهذا المعدن أهمية بالغة في تصريف شؤون البلاد وبناء الاقتصاد وزيادة احتياطات الخزينة، إضافة إلى حجر الرخام في جبال قرطبة وقيمته التجارية والتزينية.

علم ابن عباد والمأمون بن ذي النون أهمية قرطبة، وثقل مكانتها بالأندلس، والسيطرة على قرطبة تفتح لهما السيطرة على الأندلس كلها، إذ أن قرطبة تقع في المنتصف بينهما وعلى الحدود الجانبية لكل منهما، ولذلك كان كل واحد منهما يراقب الأحداث الحاصلة في قرطبة خاصة بعد أن عمّت الفوضى أرجائها، وانفلتت الأمور من يد عبد الملك بن جهور (435هـ/467هـ)، وكانت هذه الأحداث والاضطرابات فرصة ذهبية لكلا الطرفين للانقضاض عليها.

أعد المأمون بن ذي النون العدة وجهز جيشا وأسرع اتجاه قرطبة وأغار عليها سنة 462هـ/ 1079م فلم يجد عبد الملك بن جهور سوى صاحبه المعتد بن عباد صاحب إشبيلية والذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه المعتضد سنة (461هـ/1069م)، وعلى الفور أرسل له هذا الأخيرة قوة عسكرية قوامها أربعة آلاف جندي أغلبها من المرتزقة النصارى وعلى رأسها قائداه خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين واستطاعا رد المأمون بن ذي النون الذي عاد إلى طليطلة، فانتهز المعتمد بن عابد فرص وجود قائديه في المدينة، وكذلك الفوضى فيها، وكره العامة لعبد الملك بن جهور وسيرته فأمرهما بالاستيلاء على المدينة، والقبض على ابن جهور عبد الملك، وبالتالي أصبحت قرطبة تابعة للمعتمد بن عباد وخاصة لملك إشبيلية وكان ذلك في شعبان 462هـ/ 1070م[2].

د- الصراع على غرناطة:

غرناطة مدينة محدثة البناء، مدنها وحصن أسوارها وبني قصبتها حبوس الصنهاجي يشقها نهر حدره، وعلى جنوبها يقع نهر شنيل، بينه وبين ألبيرة ست أميال، وتبعد عن البحر مسافة 30 ميلا، وتعرف بغرناطة اليهود لأن نازليها كانوا يهودا، وهي تقع بين نهر فلوم الذي

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص ص: 473-574.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 484. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص ص: 155-156.

ينقسم عندها قسمين: قسم يجري في أسفلها، قسم يجري في أعلاها ويلتقط من مجراه برادة الذهب الخالص الأحمر[1]، ومن أهم أعمالها ألبيرة المشهورة بطيب تربتها، وكرم أرضها بأنواع المحاصيل من اللوز، وقصب السكر والحرير والكتان اللذان يحملان إلى الآفاق، وبها المعادن الجوهرية من الذهب والفضة والصفر والحدي والرصاص[2].

فهي مدينة تجمع بين الجبال الشاهقة والسهول الفسيحة (مرج الفيكا) التي تخترقها الجداول والأنهار وتتزاحم فيها البساتين التي كانت تغري الطامعين باقتحامها لكن لسلسة جبال سيرانفادا التي تحيط بغرناطة وتظللها كانت تشكل سورا طبيعيا منيعا لها أمام الهجمات[3]، الكثيرة التي تعرضت لها ومنها:/ هجوم زهير العامري سنة 4269هـ/ 1038م على المدينة طمعا في امتلاكها والسطو على خيراتها وثرواتها، فلما وصل إليها بجيشه خرج إليه حاكمها باديس بن حبوس فدارت بينهما معركة طاحنة، وقتال شديد كانت نهايته انهزام الجيش العامري وقتل قائده زهير، وغنم باديس من المال والخزائن والأسلحة ما لا يحاط بصوفه[4].

بعد هذا الصراع بين غرناطة وألمرية والذي انتهى باستيلاء صاحب غرناطة على قسم من مملكة ألمرية كمدينة جيان وأعمالها[5]، لم تمض سوى سنتين حتى وجدت غرناطة نفسها في مواجهة جديدة ضد مملكة إشبيلية حيث كان سبب المواجهة هو إسراع باديس بن حبوس لنجدة محمد بن عبد الله البرزلي صاحب قرمونة بعد أن استولى عليها القاضي بن عباد، وكان دافع ابن عباد من وراء استيلائه على قرمونة هو رغبته في أخذ الحصون التابعة للبربر والقريبة من إشبيلية، والتي كانت تشكل خطرا عليه[6].

---

[1]– البكري عبد الله بن عبد العزيز، كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعد، (دط)، دت)، ص: 95.

[2]– الحميري، صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص ص: 23-24.

[3]– يوسف شكري فرحات غرناطة في ظل بن الأحمر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص ص: 169.-170.

[4]– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص ص: 201-202.

[5]– ابن بلقين، المصدر السابق، ص: 52.

[6]– المراكشي، المصدر السابق، ص: 89.

انتهت المواجهة بينهما بإلحاق الهزيمة بابن عباد القاضي وقتل ولده إسماعيل سنة 431هت/ 1039م[1] وبعد هذا الانتصار على مملكة إشبيلية استطاع باديس أن يحافظ على مبدأ توازن القوى في جنوب وغرب الأندلس، وصد أطماع الإشبيليين الذين كانوا يرغبون في الاستيلاء على أراضي غرناطة، وضم أراضي الإمارات البربرية الضعيفة في الجنوب الأندلسي[2].

هـ الصراع على بلنسية:

تقع مدينة بلنسية على ساحل البحر في جهة الشرق، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال[3]، وهي مدينة عظيمة[4] عامرة القطر كثيرة الأسواق والتجار، وهي تقع على نهر جار ينتفع به في سقي المزارع والبساتين، وبها جنان وعمارات متصلة، والسفن تدخل نهرها، وبها دار لصناعة السفن ومنها تنطلق الأساطيل، وهي في الأكثر الأحوال راخية الأسعار كثيرة الفواكه والثمار جامعة لخيرات البر والبحر[5]، كانت بلنسية محط أطماع كثير من ملوك الطوائف لأهمية موقعها وكثرة خيراتها وقد بدأ الصراع عليها منذ أن تولى مبارك ومظفر العامريين حكمها بعد أن انتزعاها من مجاهد العامري[6]، حيث بلغت جباية بلنسية في عهدهما سبعين ألف دينار في الشهر[7]، وهو مبلغ كبير يسيل لعاب الطامعين ويغري المتربصين.

وبعد أن آلت رياسة بلنسية إلى عبد العزيز ابن المنصور سنة 411هـ/ 1021م لاحت له الفرص لتوسيع مملكته على حساب ألمريةن وخاصة بعد مصرع زهير العامري في المعركة التي جرت بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غرناطة سنة 429هـ/ 1038م، وكان له ذلك

---

[1]– عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 130.

[2]– فضيل بو الصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010–2011، ، ص: 95.

[3]– الإدريسي، المصدر السابق، ص: 556.

[4]– البكري، المصدر السابق، ص: 102.

[5]– الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص: 97.

[6]– عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 217.

[7]– المرجع نفسه، ص: 218.

بعد أن بايعه أهل ألمرية، وغدت مملكة بلنسية بإطافه ألمرية إليها من أعظم ممالك الطوائف، ولكن بعد وفاة عبد العزيز سنة 452هـ/1061م وخلفه ولده عبد الملك ولقب بنظام الدولة تطلع المأمون بن ذي نون صاحب طليطلة وصهر عبد الملك إلى الاستيلاء عليها، وهو ما حصل بالفعل حيث اقتحمها المأمون بن ذي النون، وأسر صهره عبد الملك وكان ذلك سنة 457هـ/1065م[1].

لما غزا المقتدر بن هود صاحب سرقسطة مدينة دانية، واستولى عليها سنة 468هـ1070م يمم أنظاره صوب مملكة بلنسية، وزينت له بطانته أمرها لأهمية موقعها ووفرة غلاتها[2]، فاتصل بملك قشتالة فرناندو ودفع له مبلغا كبيرا قدره ابن بسام وغيره بمائة ألف دينار[3]، لم يقدم المقتدر على هذه الخطوة ودفع هذا المبلغ الكبير من أجل بلنسية إلا وهو يعلم كثرة خيراتها وعظيم جبايتها وخاصة بعد ضم ألمرية وأعمالها إليها في عهد عبد العزيز سنة 429هـ/1038م.

زحف فرناندو وبالفعل على بلنسية فخرج إليه أبو بكر صاحبها وخاطبه برقة ولباقة وأقنعه بعقم محاولته فانصرف عنه، ووعده بحمايته، وفشلت بذلك محاولة المؤتمن ولد المقتدر، وعندئذ رأى أبو بكر أن يلتمس حماية المؤتمن ولد المقتدر ويأمن جانبه ففاوضه، وقدم إليه ابنته عروسا لابنه أحمد المستعين، فوافقه المؤتمن، ورأى أن هذه المصاهرة قد تكون سبيلا لضم المملكتين سرقسطة وبلنسية في مملكة قوية موحدة[4].

[1]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 225.

[2]- المرجع نفسه، ص: 226.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، مج3، ص: 25.

[4]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 226.

المبحث الثاني: نتائج الصراع والآثار المترتبة عليه

مرت الأندلس خلال عصر ملوك الطوائف بتفكك سياسي، واجتماعي، وديني وانحلال خلقي وصراع داخلي بين الأسر الحاكمة وتردي اقتصادي كان لها أثار وخيمة وعظيمة على الحال العامة للبلاد، وكان كل هذا نتيجة للصراعات العصبية والنزاعات القبلية التي كانت قائمة بين ملوك الطوائف ومن أبرز هذه النتائج ما يلي:

1- التفكك السياسي:

شهدت الأندلس خلال عصر الطوائف حالة من الفوضى، والتمزق الداخلي والصراع القبلي بعد أن كانت دولة واحدة منظمة ذات سيادة وقوة تنعم بالأمن والطمأنينة فتحولت في سنوات قليلة إلى أشلاء ممزقة، ودويلات متناحرة، ومتصارعة على الأطماع الذاتية والمصالح المادية يسيطر على كل دويلة منها حاكم سابق، أو رئيس أسرة أو زعيم قبيلة متخذين ألقابا تدل على سعة الملك وعظم الجاه والسلطان على عكس واقعهم الذين يعيشون فيه من الفرقة والاختلاف[1].

وأبلغ تعبير في وصف حال الأندلس عقب الفتنة وقيام دول الطوائف قول ابن الخطيب: "وذهب أهل الأندلس من الانشقاق والانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة نسب، ولا في الأمامة مكتسب، اقتطفوا الأقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العملات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدموا القضاة، وانتحلوا الألقاب وكتب عنهم الكتاب الأعلام وأنشدهم الشعراء"[2].

وقد لقيت هذه السياسة المتبعة –الصراع والقتال فيما بينهم– من بعض ملوك الطوائف معارضة الفقهاء والعلماء إلا أنهم واجهوا وقابلوا تلك النصائح والمناشدات بالرفض، بل قاموا باضطهاد كلا من يعارض سياستهم، وأدل مثال على ذلك ما فعله المعتضد بن عباد عندما قام

[1]– ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 144.

[2]– المصدر نفسه، ص: 190.

بقتل الفقيه أبي الحسن الهوزني[1] لقيامه بتحذيره بالخطر الذي يتهدد البلاد، كما قام الفتح بن محمد بن عباد بقتل الفقيه "عمر بن حيان"[2] والتمثيل بجثته سنة 474هـ/ 1081م، بسب رفضه لسياسة الفرقة التي اتبعها ملوك الطوائف[3].

عمل بعض ملوك الطوائف على التوسع على حساب الدويلات المجاورة لهم عن طريق الصدامات والصراعات الدامية، وكان من نتائج هذه الصراعات أن تقلصت دويلات الطوائف الأكثر من عشرين دويلة إلى أربع ممالك رئيسية سيطرت على الساحة العامة للبلاد وهذه الدول هي: بني هود في سرقسطة، بني جهور في قرطبة، بني عباد في إشبيلية، بني ذي النون في طليطلة[4]، ومن أجل تحقيق تلك المطامح السياسية، والأطماع التوسعية استخدم هؤلاء الملوك كل الأساليب والوسائل القائمة على البطش، والظلم والمكر والخديعة، وليس هذا فحسب، بل قاموا بإثقال كاهل الرعية بالضرائب والمغارم، وأخذها منهم بالقوة والشدة، واستخدام تلك الأموال في بناء الحصون والقلاع، والاستعانة بالمرتزقة الإسبان في الحروب، والتواطؤ مع ملوك الاسبان والاستنجاد بهم على محاربة إخوانهم المسلمين غير مدركين لعواقب الأمور وما يترتب عليها من خطوب وإخطار على البلاد وأهلها، ومن أمثلة ذلك ما قام به يحيى بن ذي النون حيث أرسل أمواله وخزائنه إلى الملك غرسية ليعينه على عدوه بن هود وحليفه فردلند بن شانجه[5].

2- ضعف المسلمين عسكريا:

بعد أن كان للمسلمين في الأندلس جيشا واحدا قويا أصبح لهم بعد سقوط الخلافة أشباه الجيوش الضعيفة التي استغلت في تحقيق المآرب الشخصية والمادية، بعد أن كان هدف هذه

---

[1]-ابن الحسن الهوزني: عالم ومحدث وفقيه، كان في خدمة المعتضد، فقام المعتضد بقتله لأنه خاطبه وحثه على الجواد بعد سقوط بربشتر بيد النصارى فاستدرجه وقتله بيده سنة 460هـ. ابن سعيد: المغرب، في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1978، ج3، ص ص: 242-243.

[2]- عمر ين حيان، فقيه ومحدث وأدب، قتله الفتح بن محمد بن عباد وثل بجته سنة 474هت. ابن بشكوال، الصلة، ج6، ص: 403.

[3]- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 272.

[4]- ابن الخطيب أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص: 155.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 500.

الجيوش في عهد الإمارة والخلافة هو الحفاظ على أمن ووحدة البلاد، والدفاع عن سلامة المسلمين ورفع راية الدين، والجهاد في سبيل رب العالمين.

ولكن ملوك الطوائف حينما تقاسموا البلاد، وفرقوا وحدة الأندلس قاموا بتمزيق وحدة الجيش، وأنشأ كل منهم قوة عسكرية خاصة به، تأتمر به وتهدف إلى حمايته وتحقيق مراده، فلم تكن هذه الجيوش تهدف إلى حفظ وحدة البلاد وأمن العباد لأنها لم تكن قائمة على قواعد وأسس الجيوش القوية من الانضباط في الجانب القيادي والإعداد العسكري، والتجهيز الآلي، بل إن الجيش كل مملكة من هذه الممالك كان يشبه القوة العسكرية أو الحامية التي تحمي القبيلة أو العشيرة، في حال الحرب وتنفض عن ذلك في حال دفع الخطر والأمن.

وبشكل عام فقد كانت هذه الجيوش أو العصابات بالمعنى الحقيقي تفتقد إلى القيادة العسكرية الخبيرة، والإعداد العسكري الجيد لأفراد والخطط، يغلب على أفرادها الجبن والخور عند ملاقاة الأعداء حتى ألف الخصوم منهم هذا السلوك[1]، بل إن بعضهم ربما خرجوا لخوض لخوض المعركة وهم في لباس الزينة غير مبالين بالعدو، وأصدق تعبير وتصوير ما قاله أبو إسحاق الطسروني واصفا حال أهل بلنسية وجيشهم وهم خارجون لملاقاة النصارى في معركة بطرنة[2]: سنة 456هـ حيث قال:

لَبِسُوا الحَدِيدَ إِلَى الوَغَى وَلَبِسْتُمْ ... حُلَلَ الحَرِيرِ عَلَيْكُمْ أَلْوَانَا
مَا كَانَ أَقْبَحَهُمْ وَأَحْسَنَكُمْ بِهَا ... لَوْ لَمْ يَكُنْ بِبَطَرْنَةَ مَاكَانَا[3]

هذه هي حال جيوش ملوك الطوائف والتي كانت سببا في تنفكك وحدة الأندلس وجعلها هدفا سهلا وطمعا للنصارى، وفي هذا يقول ألفونسو السادس: "حين قدم إليه رسول المعتمد ابن عباد: "كيف أترك قوما مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم، وكل واحد منهم لا سبيل في الذب عن نفسه شيئا ولا يرفع عين رعيته ضيما ولا حيفا" [4].

---

[1]– هو الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن معلي الطرسوني من شعراء المقتر ابن هود. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 475.

[2]– بطرنة: قرية من قرى بلنسية. الحميري، الروض المعطار، ص: 32.

[3]– ابن بسام، المصدر السابق، ق3، ج2، ص: 850.

[4]– ابن كردبوس، المصدر السابق، ص: 89.

3- ازدياد قوة النصارى:

لقد أدى ضعف قوة المسلمين في بلاد الأندلس عامة بسبب الصراعات والحروب الداخلية بين ملوك الطوائف إلى ازدياد قوة النصارى، وانعكس ذلك بالإيجاب عليهم خاصة تلك الأموال الطائلة التي كانت تدفع إليهم من طرف ملوك الطوائف لنجدتهم والتحالف معهم وإمدادهم بالجنود في الصراعات التي كانت قائمة بينهم.

فلما قويت شوكت النصارى بذلك أخذوا يتربصون الدوائر ويحيكون المؤمرات بين ملوك الطوائف محاولتهم منهم في إضعاف والقضاء على نقاط القوة لديهم، معلنين بذلك حربا تقوم سياستها على استرداد بلاد الأندلس كلها وطرد المسلمين منها، وقد أظهر كثير من ملوك النصارى عن نيتهم في هذا الأمر في كثير من المعارك التي دارت بينهم وبين المسلمين ومن ذلك ما قاله ملك جيليقية فرناندو شانجة أثناء حصاره لطليطلة سنة 478هـ حينما خرج أهلها ليعقدوا الصلح معه بعد أن عجزوا عن المقاومة حيث خاطبهم: "ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم قد سكنتموها ما قضى لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم، ارحلوا إلى عدوتكم، واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم ولن نرجع عنكم"[1].

هكذا كانت خطط النصارى لاسترداد بلاد الأندلس وطرد المسلمين منها، حيث كان يدفعها عوامل تاريخية وتغذيها دوافع دينية وتحركها روح صليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين وتجهز وتعيد لها الطريق أموال المسلمين وغنائمهم.

4- سقوط مدن الأندلس في يد النصارى وانحصار أراضي المسلمين:

كانت الحدود السياسية لبلاد الأندلس في عهد الدولة الأموية تمتد من نهر دويرة شمالا إلى مضيق جبل طارق جنوبا، ومن البحر المتوسط (بحر الروم) شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا[2].

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 500-501.

[2]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 08.

أما في عصر ملوك الطوائف فبدأت هذه المساحة بالتقلص والانحسار أمام حركة الاسترداد والمد والنصراني، حيث تقلصت حدود الدول الإسلامية وخاصة الجهة الشمالية والغربية بسبب تتابع ضربات الممالك النصرانية في الشمال والغرب، وضعف المسلمين من الناحيتين المعنوية والعسكرية مما أدى إلى سقوط كثير من المدن الإسلامية في يد النصارى ومن أهم هذه المدن ما يلي:

قلمرية: يذكر ابن الخطيب أن فرناندو سار بنفسه إلى قلمرية في جيش كبير لأخذها حيث أحكم حصاره لمدة 06 أشهر، وخلال مدة الحصار عان المسلمين، وساء وضعهم، وتباطأ ابن الأفطس في نجدتهم فضعفت حامية المدينة، وخان قائدها أهلها وسار إلى فرناند وليطلب منه الأمان على نفسه وأهله مقابل أن يسلم المدينة ليلا فأجابه فرناندو لذلك فخرج وترك المدينة بلا قائد[1].

فلما أصبح أهل المدينة وكانوا قد أخذوا الأهبة للقتال قال لهم النصارى: "كيف تقاتلون وقائدكم عندنا فعلموا بالخيانة، وعرضوا على الملك فرناندو التسليم مقابل الأمان، لكن فرناندو رفض ذلك لعلمه بضعفهم وعدم مقاومتهم، فواصل الحصار حتى نفذت الأقوات منها وحينها دخلها سنة 456هـ/1064م بعد أن استباحها لجنده فقتل الكثير من أهلها وأسر أكثر من خمسة آلاف رجل كما سبي النساء والأطفال[2].

بلنسية: بعد أن تمكن فرناندو من الاستيلاء على قلمرية وما جاورها، رغب في توسيع نفوذه وبسط سيطرته، فتوجه سنة 457هـ/1054م نحو بلنسية التي كانت في حكم عبد الملك بن عبد العزيز (452هـ/457هـ) فلما وصل فرناندو إلى المدينة ضرب حولها، حصارا شديدا وقاسيا روّع فيه أهلها وملكها الضعيف، إلا أن أهلها أظهروا شجاعة ومقاومة فأيقن فرناندو استحالة فتحها فلجأ إلى حيلة وتظاهر بالانسحاب، فلما رأى أهل المدينة ذلك خرجوا بقيادة ملكهم لمطاردة الفارين، وكانوا يلبسون ثيابا فاخرة وكأنهم في يوم عيد غير آخذين أهبة القتال[3].

---

[1]– ابن الخطيب،أعمال الأعلام، المصدر السابق، ج2، ص: 184.

[2]– عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 86.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج3، ص: 252.

فلما رآهم النصارى على تلك الحال انقضوا عليهم وهاجموا بقوة فقتلوا وأسروا الكثير لكن حاكم المدينة عبد الملك تمكن من النجاة ثم عاد النصارى من جديد واستأنفوا حصار المدينة ثانية"[1].

توالت الأيام والسنوات وتسارعت الأحداث على بلنسية وزادت شدة الحصار خاصة مع تصارع الإخوة على الحكم، وعزم القمبيطور على أخذ المدينة وفتحها فزاد من شدة الحصار الذي دام 20 شهرا، عدم أهلها الطعام وأكلوا الفئران والكلاب والجيف، ومن مات منهم أكلوه فبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقون"[2].

ورغم صرخات الاستغاثة والنجدة التي أطلقها أهل بلنسية إلى المرابطين لكنهم لم يتمنوا من إنجادهم، كما استصرخوا ابن هود صاحب سرقسطة لكنه لم يجبهم فلما يئس الناس من الأمر قرروا تسليم المدينة والصلح مع القمبيطور للدمار وحفاظا على الأرواح مقابل عدد من الشروط اشترطوها:

1- أن يبقى ابن جحاف* قاضيا للمدينة وحاكما لها.

2- أن يتولى مندوب القمبيطور الإشراف على جمع الضرائب.

3- أن تتولى حماية المدينة حامية من النصارى.

4- أن لا تمس شعائر الدين من مساجد ولا تنتهك حرمة المسلمين[3].

وبعد إعلان القمبيطور موافقته على الشروط فتحت المدينة أبوابها، ودخلها النصارى ويم الخميس جمادى الأول سنة 487هـ/1094م، وما إن وطئت أقدم النصارى المدينة حتى تحللوا من شروط الصلح وتقضوا العهد، وعاثوا في المدينة خرابا وفسادا[4].

---

[1]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 224.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج3، ص: 31.

*- كانت نهاية القاضي ابن الجحاف الحرق حيث حفر له حفرة وأدخل فيها إلى نصفه وسوى التراب عليه ثم أحيط بالنار وأضرمت حوله وتوفي رمه الله وسط الحفرة والنار حتى احترق. ابن عذارى، المصدر نفسه، مج3، ص: 31.

[3]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 244.

[4]- المرجع نفسه، ص: 254.

5- فساد العلاقات الاجتماعية وانتشار الأخلاق الرذيلة:

أسهب المؤرخون في الحديث عن مظاهر انتشار الرذائل وشيوع الفواحش، وفساد الروابط الاجتماعية والعلاقات بين الناس في ذلك العصر ببلاد الأندلس، ولم يسلم من هذا الانحطاط الخلقي لا الراعي ولا الرعية فالناس على دين ملوكهم.

فانتشرت الإباحية انتشارا رهيبا وأصبح الشعراء والأدباء يتغنون بذلك ويفتخرون فهذه الشاعرة الأدبية ولادة القرطبية بنت المستكفي الأموي والتي عايشت عصر الطوائف تكتب بالذهب ويوسخ ثوبها بأبيات كلها خلاعة ومجون:

أَنَـــا وَاللهِ أَصْـــلُحُ لِلمَعَـــالِي أَمْشِـــي مِشْـــيَتِي وَأتَيـــهُ فِيهَـــا
وَأُمَـتِّنُ عَاشِـقِي مِـنْ صَـحْنِ خَـدِي وَأُعْطِـــي قُبْلَتِـــي مَـــنْ يَشْـــتَهِيهَا[1]

كما شاع شرب الحمر بين الناس ناهيك عن حكامهم حتى أضحت القصائد الخمرية هي أكثر فنون الشعر ذيوعا بين شعراء الأندلس، وكان كثير من الناس يقضون لياليهم أيقاظا يجتمعون على كؤوس الخمرة إلى الصباح[2].

لقد تجرد الناس في ذلك العصر من كل قيود الدين والأخلاق والقيم، ولم يعد هناك ما يردع الناس، ويصدهم فانتهكت الحرمات وانتشرت المنكرات ولا وازع من دين أو سلطان.

هذه بعض الصور من مظاهر الفساد الأخلاقي الذي حل بالمجتمع الأندلسي في ذلك العصر مما انعكس سلبا على الحياة العامة للمسلمين، فضعفت قوة المسلمين، وانحسرت أراضيهم وحدودهم، وأصبحت البلاد عرضه للنصارى الحاقدين والمتربصين. وملوك الطوائف في لهوهم ولذاتهم غارقين وعن مقارعة الأعداء وردهم قاعدين وخائفين وجلين بل إلى إرضائهم مسارعين وباذلين.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص: 276.

[2]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص: 29. عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 300.

6- الصراع الداخلي بين أفراد الأسر الحاكمة:

يذكر ابن خلدون في تاريخه أن من أثار الهرم في الدولة انقسامها، وأن التنازع بين القرابة يقلص نطاقها، كما يؤدي إلى قسمتها ثم اضمحلالها[1]، ومما اتسم به عصر ملوك الطوائف ذلك الصراع الداخلي الذي وقع بين أفراد الأسر الحاكمة ومن بين النماذج في هذا الموضوع ما يلي:

1. أسرة بني هود: قبل وفاة المستعين بالله سليمان بن هود (ت438هـ/1047م) قام بتقسيم مملكته على أولاده الخمسة، فلما توفي وقع النزاع، والصراع بينهم، وقاد هذا النزاع المقتدر بالله أحمد بن سليمان (441هـ/474هـ) الذي احتال على إخوته فسجن بعضهم، وعذّب بعضهم ولم يسلم من هذا الأذى إلا يوسف بن سليمان الملقب بحسام الدولة الذي دافع عن نفسه يقول ابن عذارى: "لم يزل –أحمد بن سليمان– يحتال على إخوته حتى أخرج بعضهم من مواضعهم واحتال عليهم وسجنهم وكحل بالنار بعضهم"[2].

وقد أدى هذا الصراع الذي حدث بينهم إلى الاستنجاد والاستعانة بالنصارى بعضهم ضد بعض، وذهب ضحية النزاع آلاف القتلى، واستمر الصراع بين الطرفين لمدة طويلة مما أضعف منطقة الثغر الأعلى التي كانت سدا منيعا بين المسلمين وما يليها من ممالك النصارى"[3]، وانتهز ألفونسو السادس فرصه الصراع بين الإخوة فحاصر سرقسطة وكادت تسقط في يده لولا تفاجؤه بنزول المرابطين ببلاد الأندلس عام (479هـ/1088م) فبقيت أسرة بني هود في الحكم حتى سقطت المملكة في يد النصارى عام 513هـ[4].

2. أسرة بني حمود: كانت هذه الأسرة من الأسر الحاكمة التي دب فيها الصراع بين أفرادها حيث يقتل بسبب ذلك الصراع أول حكامها على بني حمود سنة 408هـ، غدرا وغيلة داخل الحمام[5]، وعقب مقتله تنازع ولداه "يحيى" و"إدريس" مع عمها القاسم بن حمود على الحكم،

---

[1]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج1، ص: 517.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 458.

[3]- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 290.

[4]-المرجع نفسه، ص: 292.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 387.

وتبادلا الحكم على مدينة إشبيلية، واستقلالها عنهم سنة 414هـ، ثم فقدوا بعد ذلك قرطبة والتي أصبحت فيما بعد تحت حكم بني جهور سنة 432هـ، واستمر الصراع بين أخويه وكانت نتيجته سقوط غرناطة في أيدي بني زيري سنة 449هـ والجزيرة الخضراء بأيدي بني عباد سنة 450هـ، وبذلك انتهت دولة بني حمود نتيجة الصراع فيما بين حكامها[1].

3. أسرة بني زيري: لم ينجو بنو زيري حكام غرناطة من هذا الصراع أيضا فعقب وفاة حبوس ابن ماكس (ت428هـ) والذي كان قد قسم مملكة غرناطة على أقاربه وبني عمومته من بربر صنهاجة، حتى أصبح كل واحد منهم حاكما على ما يليه مستقلا بها تحت يديه.

فلما توفي حبوس تولى ابنه باديس الحكم لكن أحد بني عمومته ويدعى "يدير بن حباسة" حاول الاستيلاء على الحكم في غرناطة وخلع باديس فتفطن للأمر الوزير اليهودي ابن النغرالة ونصح باديس بأخذ المتآمرين بالحيلة لا بقوة حتى لا ينهار حكم بني زيري، فقبل باديس النصيحة وضرب المتآمرين بعضهم ببعض فخلص له الحكم في النهاية[2].

وقبل وفاته سنة 467هـ قام باديس بتوليه ولده بلقين حكم مالقة بعد أن استولى عليها من بني حمود سنة 449هـ، وترك هذا الأخير بلقين ولدين هما تميم وعبد الله حيث حاول تميم سلب مدينة المنكب من أخيه فقام عبد الله بمحاربته وحصاره لكنه لم يلبث أن رفع الحصار عن أخيه بعد أن أدبه، كما قام بمنحه قلعة جطرون بدل المنكب، لكن تميم بقي حاقدا على أخيه إلى أن قدم المرابطون إلى الأندلس فشكا أخاه إليهم، مما تسبب في إضعاف بني زيري مما سهل القضاء عليهم[3].

4. أسرة ذي النون: لم تكن هذه الأسرة بمنأى عن الصراع بين أفرادها على الحكم، فبمجرد أن تولى يحيى المأمون مقاليد الحكم بعد أبيه إسماعيل بن ذي النون سنة 435هـ، حتى خرج عليه

---

[1]– عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 288.

[2]– ابن بلقين عبد الله بن بلقين، مذكرة الأمير عبد الله (كتاب التبيان، نشر وتح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، (ذخائر العرب 18)، ص ص: 31–34. مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ص ص: 119–120.

[3]– ابن بلقين، المصدر الساق، ص ص: 90–94. عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 289. مريم قاسم طويل، المرجع السابق، ص: 178.

أخوه "عبد الرحمن" وعمه "أرقم" فأما أخوه عبد الرحمن فقد نازعه الحكم، واتصل بحكام سرقسطة بني هود أعداء المملكة يقول ابن عذارى: "وكان مع سليمان بن هود عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذي النون أخو يحيى الذي نازعه سلطانه، فدل على عوراته وبالغ في إذايته"[1].

وقد استطاع المأمون فيما بعد أن يتخلص من عمه أرقم بالحيلة والخديعة إذ أنه دس إلى فرناند من أوعز إليه بأن أرقم ما هو إلا جاسوس لابن أخيه المأمون فقتله فرناند، وفرح المأمون بذلك وقال الحمد لله هذه نعمة من جهتين فقد عدو ووجوب ثأر نطلب به"[2].

كانت هذه نماذج للصراعات، والنزاعات التي كانت قائمة بين أفراد الأسر الحاكمة لهذه الممالك حيث ساد التنازع على السلطة والتناحر لأجل الحكم، وهذا مما خلف أثارا جسيمة مادية ومعنوية على المسلمين في بلاد الأندلس كانت نهايتها السقوط في أيدي النصارى.

7- انحطاط الاقتصاد الأندلسي وكساده:

لقد تأثرت الحالة الاقتصادية للأندلس من تلك الظروف السياسية، والصراعات العصبية تأثرا كبيرا، إذ أنه لا يختلف اثنان في أن الاستقرار واستتباب الأمن له أثر في استقرار الناس وتمكنهم من مزاولة نشاطاتهم والعمل في مزارعهم ومصانعهم وإدارة تجاراتهم، وغيرها من المجالات الاقتصادية دونما خوف أو قلق، ولكن هذا الأمر ينعدم في حال الفزع والتقلبات السياسية والحروب والصراعات[3].

وقد أدى الوضع غير المستقر في عصر ملوك الطوائف إلى قلق في الأسواق وركود في الحياة الاقتصادية التجارية والصناعية[4]، مما نتج عنه أن الحالة الاقتصادية العامة لبلاد الأندلس في ذلك العصر كانت بالغة السوء[5]، تتناسب مع المستوى السيء للحالة السياسية

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 499.

[2]- عبد الحليم محمود، المرجع السابق، ص: 290.

[3]- عبد الحليم عويس، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط2، 1988، ص: 28.

[4]- محمد خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري، الدار التونسية للنشر، (دط)، 1984، ص: 91.

[5]- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص: 28.

ويصور لنا ابن حزم هذه الحالة حيث يصف حالة قرطبة وأحوازها في تلك الفترة فيقول: "..فقد كان جنود الفتنة الطائفية لا يتورعون عن شن الغارات على الناس الأمنين، والاستيلاء على أموالهم بالقوة، وقطع الطريق على مصالحهم، وضرب المكوس، والجزية على رقابهم، وتسليط اليهود لأخذ الجزية منهم"[1].

وفي مثل هذه الحالة التي ذكرها ابن حزم لا نتوقع اقتصادا مزدهرا لاسيما والحروب كانت مستعرة بين ملوك الطوائف وما يتخللها من حصار على المدن وما ينتج عنه من أعمال تخريب ونهب، وخلو الأسواق والدكاكين من أصحابها وروادها بعد المعارك يقول ابن بسام نقلا عن ابن حيان: "...أن بطليوس بقيت مدة خالية من الدكاكين والأسواق من استئصال القتال لأهلها في وقعة ابن عباد هذه"[2].

ولقد كان لهذا الضعف الاقتصادي الذي شهدته بلاد الأندلس أسباب قوية منها:

1- تسليط كثير من ملوك الطوائف ووزرائهم على أموال الناس، واستيلائهم عليها وبشتى الطرق والوسائل كما فعل مبارك ومظفر العامريين، حين فرضا الضرائب والأتاوات الكثيرة على الرعية إذ كانا يستخرجانها بأشد العنف ومن كل صنف حتى تساقطت الرعية، ورحلت عن الأندلس إلى بلاد أخرى[3].

وهذا سلوك لم يكن خاصا بالعامريين، بل كان سبيل كل ملوك الطوائف فهذا المقتدر بالله أحمد بن هود (4378هـ-474هـ) حاكم سرقسطة حيث بالغ في فرض الضرائب على الرعية لكي يدفعها للنصارى وهذا ما أضعف سكان تلك البلاد[4].

2- استمرار الحروب الطويلة، والتي قد تمتد إلى شهور مما يخلف أثارا سيئة ودمارا وخرابا[5]، فحينما انتهت الحرب التي وقعت بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الأفطس سنة

---

[1]- ابن حزم، رسالة التلخيص لوجوه التخليص (من ملحقات رسالة الرد على ابن النغزيلة)، تح: إحسان عباس، مطبعة دار العروبة، القاهرة، (دط)، 1960، ص ص: 173-174.

[2]- ابن بسام، المصدر السابق، ق1، ج1، ص: 388.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 415.

[4]- المصدر نفسه، مج2، ص: 430.

[5]- امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، مطبعة النور، تطوان المغرب، دط، 1987، ص: 110.

442هـ/1050م واستمرت لمدة سنتين حتى انتهت بعقد الصلح بينهما سنة 444هـ/ 1052م، كانت تلك الحروب قد دمرت عمارات واسعة، وأفسدت غلاتها، ووقعت رعيتها في المجاعة الطويلة إذا امتدت الحرب بين ذانيك الزعيمين حتى أفنيا العالم"[1].

كذلك ما فعله المعتضد ابن عباد مع دولة البكريين في أونية وشلطيش ذات الاقتصاد القوي حيث نعم أهلها بالرخاء إلى أن ضايقهم ابن عباد بشن الغارات ففسدت البلاد وكثر الكساد وذلك سنة 443هـ/1050م[2].

3- توظيف الجنود المرتزقة في الحروب والصراعات والذي كان له دور مهم في إفساد الحياة الاقتصادية بما يقومون به من تخريب وإفساد أثناء المعارك وبعدها كما فعل ابن عباد حين كون جيشا غالبيته من المرتزقة العبيد الذين كان أصل غالبيتهم من المغرب وإفريقيا[3]، حيث كانت هذه الفرق من المرتزقة تشارك في الحروب والمعارك بموجب اتفاقات وتحالفات تعقد بين ملوك الطوائف والنصارى وأصبحت مشاركة هؤلاء المرتزقة أكثر خطورة حيث كان هؤلاء يساندون إحدى الفصائل المتقاتلة، وما يخلفونه من دمار ونهب[4]، بالإضافة إلى المصاريف الباهضة التي كانت تفرضها هذه الفرق، وتطلبها عند القيام بالحملات العسكرية كما فعل ابن هود حين ظاهر ملك قشتالة فرناند و وردمير شانجة وبعث لهما بأموال ضخمة وهدايا ثمينة وطلب منهما مهاجمة بلاد ذي النون[5].

دفع الجزية لملوك النصارى، لقد كانت أموال الجزية التي تؤدي إلى ملوك النصارى من بين أسباب ضعف الاقتصاد في الأندلس، بل كانت عاملا للاستنزاف الأموال هدفه إضعاف قوة المسلمين وممالك الطوائف الهجوم الشامل واسترداد بلاد الأندلس.

وكانت أموال الجزية تجمع على شكل ضرائب ومغارم تفرض على الرعية وتجبى منهم بشتى الوسائل لتؤول في الأخير ليس لتحسين ظروفهم المعيشية وأحوالهم الاقتصادية وتنمية

---

[1]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 450-451.

[2]- المصدر نفسه، مج2، ص ص: 470-471.

[3]- امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المرجع السابق، ص: 108.

[4]- المرجع نفسه، ص: 109.

[5]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 101.

البلاد، وإنما تؤول إلى النصارى لكسب ودهم ورضاهم، وكان ملوك الطوائف يدفعون الجزية لألفونسو السادس ملك قشتالة: "فأما ملوك الأندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤدي إليه إتاوة"[1].

كما أن النصارى أصبحوا يعد ون تلك الأموال حقا شرعيا لهم لا يجوز لملوك الطوائف تأخيرها أو التهاون في أدائها، ومن يتقاعس عن ذلك فإنه يعرض نفسه وملكه للخطر كما حصل لمحمد بن مسلمة بن الأفطس (437هـ 461هـ) حينما رفض دفع الأتاوة لفرناندو الملك القشتالي فارسل اليه جيشا قويا قوامه ثلاثون ألف رجل فلم يستطع ابن الأفطس مقاومته، واضطر إلى عقد الصلح معه على أن يدفع فدية مقدارها خمسة ألاف دينار كل عام[2].

ولم تكن هذه الجزية والفدية يدفعها ملوك الطوائف فحسب، بل إن سكان هذه الممالك كانت تدفعها للنصارى عند محاصرتهم لهم في المدن ولعل موقف ملك أرجون ابن رودمير من أهل بلنسية أوضح دليل على ذلك فقدم جمع أهل المدينة ثم قال لهم: "انظروا لي في سبعمائة ألف مثقال وإلا أهلكتكم وأحللت السيوف عليكم..." [3].

هذه بعض الاسباب التي أدت إلى إضعاف الاقتصاد الأندلسي في ذلك العصر والتي كان لها أثار ونتائج وخيمة نذكر منها:

1. هجرة الأهالي من قراهم وأراضيهم ورحيلهم عن مزارعهم وضيعاتهم بسبب كثرة الإتاوات والضرائب التي كانت تفرض عليهم من طرف ملوك الطوائف، وعمالهم يذكر صاحب الحلل الموشية من أن المعتمد بن عباد فرض على أهل البلاد إتاوة كان يؤديها إلى النصارى فافتقر أكثرهم بسببها، كما جلا بعضهم عن تلك البلاد[4]، فكانت نتيجة تلك السياسة المنتهجة من قبل ملوك الطوائف أن أخليت الكثير من القرى، وهجرت الكثير من الضيعات والملكيات الزراعية، وقل معها العنصر البشري وانكمشت معه القوة الاقتصادية التي كانت تحركها الأهالي في هذه

[1]– المراكشي، المصدر السابق، ص: 197.

[2]– عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 86.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج4، ص: 41.

[4]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، ط1، 1979، ص: 41. ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 415.

القرى، مما خلق آثارا سلبية أخرى ناجمة عن هذه الهجرات تمثلت في شيوع ظاهرة البطالة وانتشارها بين مختلف فئات المجتمع خاصة الفئة المنتجة من الفلاحين والصناع والحرفيين[1].

وفي هذا يذكر ابن خلدون موضحا الآثار التي خلفها العدوان على الناس في أموالهم، أو إثقال كواهلهم بالضرائب من بطالة وكساد في الأسواق وسوء في الأحوال فيقول: " اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم...وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب...فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن لمكاسب كسدت أسواق العمران وانقبضت الأحوال"[2].

2. غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار: وكان سببه الحصار المتواصل على المدن أثناء الصراعات بين ملوك الطوائف وما خلفته من آثار سيئة فحينما انتهت الحرب التي وقعت بين المعتضد ابن عباد والمظفر ابن الأفطس سنة 442هـ/1050م، واستمرت عدة شهور كانت تلك الحرب قد دمرت عمارات واسعة وخربت أراضي عامرة أفسدت غلاتها وأحرقت محاصيلها وأوقعت رعيتها في المجاعة الطويلة"، إذ امتدت الحرب بين ذنيك الزعيمين حتى أفنيا العالم"[3].

كذلك ما فعله المعتضد ابن عباد مع دولة بني مزين حيث شنّ عليهم الغارات ووالي السرايا ثم حاصر مدينة شلب فاشتد عليها البلاء وغلت الأسعار، وكسدت الأسواق مع غيرها من الأقاليم المجاورة[4]، ولقد لقيت هذا المصير كلا من دولة اليحصين في ليلة ودولة عماد الدولة الدمري بمورور[5].

---

[1]– مزرعي سمير، السلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2017–2018م، ص: 227.

[2]– ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص: 302.

[3]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص ص: 450–451.

[4]– المصدر نفسه، ص: 452.

[5]– نفسه، مج2، ص: 452.

وكحصار ابن ذي النون لقرطبة 463هـ/1070م مما أثر على أحوال الناس وسوء معيشتهم وارتفعت الأسعار لقلة المؤن وانقطاع السبل فاستغاثوا بابن عباد المعتمد الذي أرسل جيشه ورفع الحصار على قرطبة ودخلها وأصبحت تابعة له[1].

تلك الأحداث المتسارعة أدت إلى عدم الاستقرار الاقتصادي، وإلى قلق عام في الأسواق بسبب قلة السلع الناتج عن عزوف التجار عن جلبها بسبب انعدام الأمن واضطراب الأحوال وكثرة الفتن[2].

3- تردي قيمة العملة: من الأدلة القوية على تردي الأوضاع الاقتصادية بالأندلس في تلك الفترة أنه خلال هذا العصر –عصر ملوك الطوائف– كله لم توجد عملة قضية تسمى الدارهم إذا كانت العملة المتداولة إما من النحاس أو من الفضة الرديئة جدا ذات الوزن المتغير[3]، حيث أنه وبعد سنة 430هـ/1038م، قلت كمية الفضة التي كانت متداولة في الأندلس، وقلة هذا المعدن أدت إلى التخفيض في قيمة العملة[4]، وكان للجزية التي كان يؤديها ملوك الطوائف إلى ملوك النصارى دور في انتقال كميات كبيرة من الفضة والمعادن النفسية إلى ممالك النصارى وبالتالي نقصها في بلاد الأندلس، مما أوجد ملوك الطوائف في وضع لا يستطيعون معه أن يواجهوا ذلك النقص في المادة الأولية لسبك الدراهم مما اضطرهم إلى خلط العملة بمعادن أقل جودة كالنحاس وغيره وبذلك نقصت قيمتها[5].

كانت هذه السياسة المتبعة من طرف ملوك الطوائف، والآثار المترتبة عنها التي لم تؤخذ بعين الاعتبار حيث أن الوضعية تغيرت سنة 478هـ/1086م، حيث أديت الجزية المفروضة على إشبيلية بنقود مغشوشة، وقد رفضت تلك النقود من طرف مبعوث ألفونسو السادس بن شالب اليهودي، مما دفع بالمعتمد بن عباد إلى قتله وفي هذا يقول صاحب الحلل الموشية في هذه الحادثة، "فوجه إليهم المعتمد بن عباد المال المعلوم مع بعض أشياخ إشبيلية

[1]– ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 483.

[2]– محمد خلاف، المرجع السابق، ص ص: 90-91.

[3]– المرجع نفسه، ص: 95.

[4]– نفسه، ص: 88.

[5]– امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، المرجع السابق، ص: 128.

منهم ابن زيدون وغيره، فلما وصلوا إلى خبائه، وأخرجوا إليه المال العين والسبائك، قال لهم اليهودي ابن شالب –والله لا أخذ منه هذا العيار ولا أخذ منه إلا مشحرا... بلغ المعتمد خبره، فدعا بعبيده وبعض جنوده وأمرهم بالخروج لقتل اليهودي ابن شالب وأسر من كان معه من النصارى ففعلوا ما أمرهم به من ذلك[1].

إن الخفض من قيمة العملة في هذه الفترة أدى إلى الإسراع في ارتفاع الأسعار وتضخم الاقتصاد، وذلك مرده إلى ازدياد قيمة الكتلة النقدية المتداولة في الأسواق دون نمو مقابل للطاقة الإنتاجية، بسبب إتلاف المحاصيل وهجرة الفلاحين والصناعين، مما أدى إلى ارتفاع في قيمة السلع والمنتوجات، بالإضافة إلى ارتفاع مبالغ الجزية التي كانت تستخلص من المداخيل الصافية للمملكة بعد خصم كل المصاريف الحيوية[2]، ولكن ارتفاع قيمة الجزية المدفوعة إلى النصارى قد تجاوز مداخيل بعض الدول، كدولة ألمرية في عهد بلقين بن باديس حيث عجز عن دفع ما قيمته عشرة آلاف مثقال سنويا"[3].

كانت هذه بعض الآثار السيئة المترتبة عن الصراعات بين ملوك الطوائف والتي أوجدتها المصلحة الاقتصادية والتي أعطتنا صورة واضحة عما كان يعانيه الاقتصادي الأندلسي وما وصل إليه في عهد ملوك الطوائف حيث كان هشا ضعيفا مترديا في أغلب أحواله مما انعكس على حال الناس، بل وحال الأندلس كلها فضعفت قوة المسلمين مما أضعف حصونهم وجعلهم لقمة سائغة في أيدي النصارى الذين كانوا فيما يبدوا يخططون لهذا الأمر بل لهم دخل في هذا الوضع وقد بدا هذا واضحا من خلال سياسة ألفونسو السادس مع ابن ذي النون فقد: "فغر على ثغوره فجعل لوقته يطويها كطي السجل للكتاب، وينهض فيها نهضة الشيب في الشباب، وابن ذي النون يلقمه أفلاذ أكباده، ويرجمه بسيده ولبده وألفونسو لعنه الله لا يقنع منه بصيد العنقاء، ولا يبيض الأنوق، بل يكلفه إحضار الأبلق العقوق..فلما أكل الإنفاق

[1]– مؤلف مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص: 42. محمد ابن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المرجع السابق، ص: 116.

[2]– أمحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، المرجع نفسه، ص: 184.

[3]– نفسه، ص: 115.

ثبج ماله، وأخذ الخناق يكظم احتياله، وأحس العدو المشاق بذلك من حاله، سما إلى معاقله المنيعة، وذرى أملاكه الرفيعة عدد الأنام ودروب الإسلام"[1].

وقد يكون من الإنصاف أن نبين أن ذلك الضعف الاجتماعي لم يكن شاملا لكن دول الطوائف بل يستثنى من ذلك دولة بن جهور وخاصة في بداية أمرها فقد كانت تتمتع باقتصاد قوى في عهد أبي الحزم بن جهور (422هـ-435هـ) وذلك بسبب سياسته الحكيمة حيث يذكر المؤرخون أن أبا الحزم ابن جهور قد نهج سياسة مالية حسنة، فلم يطمع في مال الناس أو بيت المال بل كان يقتات من ماله الخاص كما كان لا يلتبس شيء من مال المسلمين ولا يدخل داره، ومن سئل قال: ليس لي عطاء ولا منع هو للجماعة وأنا أمينهم"[2].

أما ما يصل إليه من أموال المسلمين فقد كان يبذله في خدمة البلاد والعباد فقد كان يجعل كل ما يرتفع إليه في البلد من مال بعد إعطاء المقاتلين نصيبهم، بأيدي تقات، مشاركا لهم في إدارته وتصرفه[3].

وقد ذكر ابن حيان أن هذه السياسة الاقتصادية والمالية الحكيمة التي اتبعها أبو الحزم بن جهور كان لها الأثر الإيجابي في حياة أهل قرطبة: "حيث رخت الأسعار، وصاح الرخاء بالناس أن هلموا، فلبوه من كل صقع، فظهر تزايد الناس بقرطبة من أول تدبيره لها حتى ملؤوا المساجد والأفنية، وسمت إتمان الدور بها، واتصل البنيان بها، وغلت الدور وحركوا الأسواق"[4].

وقد أدى هذا التحسن في أحوال قرطبة وأهلها خلال حكم ابن جهور إلى تعجب الناس من ذلك التغير الذي طرأ على قرطبة دون سواها من مدن الأندلس يقول ابن حيان واصفها تلك الحال فيقول: "فعجب ذو التحصيل الذي أدى إليه في صلاح أحوال الناس من القوة ولما تعتدل حال أو يهلك عدو أو تقو جباية وأمر الله تعالى بين الكاف والنون"[5].

---

[1]- ابن بسام، المصدر السابق، ق4، ج1، ص: 156.

[2]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 432.

[3]- المصدر نفسه، مج2، ص: 432.

[4]- نفسه مج2، ص: 433. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، مج2، ص: 604.

[5]- ابن عذارى، المصدر السابق، مج2، ص: 433. ابن بسام، المصدر السابق، ق1، مج2، ص: 604.

خاتمة

بعد الدراسة لموضوع العصبية القبلية والمصلحة الاقتصادية في عهد ملوك الطوائف القرن 5هـ العاشر الميلادي تمكنا من الوصل إلى النتائج التالية:

1. بعد سقوط الخلافة في الأندلس وصلت البلاد إلى أقصى درجات التمزق والانفصال، وتحرك الأقاليم الأندلسية إلى مناطق نفوذ مستقلة منعزلة يغلب عليها طابع التكتلات العرقية، وتحركها الأهواء الشخصية، وقد أدى الوحدة السياسية بين مسلمي الأندلس إلى تناثر كيانهم السياسي الموحد المتمثل في الخلافة الأموية إلى عدد من الدول والإمارات الصغيرة، وهذا ما أدى إلى تراخي السلطة فيها، حيث فقد الحكم هيبته وصرامته ومن ثم عدم السيطرة على البلاد والعباد.
2. لقد شكلت الأحزاب المتصارعة، والعصبيات المتناحرة في بلاد الأندلس أربع طوائف كبرى متمركزة في مناطق معينة تضم كل طائفة مجموعة من الممالك تختلف عن بعضها البعض م حيث المساحة والقوة والضعف.
3. لم يعد مفهوم العصبية القبلية يقتصر على معاني الاجتماعي والنصرة والولاء والحلف والنسب والدم بل تطور هذا المفهوم مع التطور الحاصل للبشرية حيث لم يعد مرتبطا بالقبلية والعشيرة بل توسع ليصبح تعبيرا عن ارتباط المصالح وتبادل المنافع وشكلا من أشكال التضامن والتكافل بين أفراد الشعب أو الأمة الواحدة.
4. كانت العصبية التي استشرت بين ملوك الطوائف من أكبر معاول الهدم التي حلت ببلاد الأندلس، إذ أدت تلك الظاهرة الجاهلية إلى تمزيق المجتمع الأندلسي إلى أشلاء ضعيفة لم تستطع الوقوف في وجه الخطر النصراني، حيث تحول الجهاد والغزو إلى حروب ثأرية ونزاعات أهلية لا هدف لها سوى إرضاء الأهواء الشخصية وتحصيل المنافع المادية والثأر للقبيلة، حيث أصبح هذا الأمر غاية وحيدة وهدفا مهما عند كثير من ملوك الطوائف وأتباعهم مما أثر على البلاد وأدخلها في دوامة النزاع الداخلي.
5. إن الضعف الذي أصاب بلاد الأندلس جراء الصراعات والصدامات بين ملوك الطوائف وما صاحبه من مظاهر مرضية كالطرف والخلاعة والمجون وموالات النصارى، قد خلف العديد من الآثار والنتائج التي بدت واضحة بحيث لا يمكن تجاهلها أو الإقلال من شأنها، وكانفي مقدمتها التفكك السياسي الذي أصاب البلاد بعد أن كانت دولة واحدة منظمة ذات

سيادة وقوة تنعم بالأمن والطمأنينة وما صاحب ذلك من ازدياد المد النصراني وانحصار الرقعة الجغرافية للمسلمين إثر سقوط المدن الأندلسية تباعا الوحدة تلوى الأخرى. نتيجة الضعف العسكري الذي أصاب أهل الأندلس، ويضاف إلى ما سبق تدهور في الحياة العامة حيث تردت الحالة الأمنية، وفسدت العلاقات الاجتماعية وانتشرت الرذائل وشاعت المنكرات وساد الفقر وكثر القلق النفسي بين الناس، كما ضعف الاقتصاد، وكدست الأسواق، وتردت العملة، وارتفعت الأسعار، وغلت أحوال المعيشة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تح: مؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ط) (د.ت).
2. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامع الأزهر، (د.ط) (د.ت).

1- المصادر:

1. ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ط، 1995، مج 2.
2. إبراهيم بن محمد الأصطخري، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال، مر: محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي والإدارة العامة للثقافة، القاهرة، د.ط، د.ت.
3. الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، 2002.
4. ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، ق1، مج2، ط2، 1399هـ.
5. ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك: الصلة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دط، 1989.
6. البكري عبد الله بن عبد العزيز، كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعد، (دط)، دت).
7. ابن بلقين عبد الله بن بلقين، مذكرة الأمير عبد الله (كتاب التبيان، نشر وتح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، (ذخائر العرب 18).
8. ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
9. ابن حزم:

- جمهرة أنساب العرب، تح: ليفي روفنسال، دار المعارف، مصر، دط، دت
- رسائل ابن حزم الأندلسي، تح إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 1980، ج3.
- رسالة التلخيص لوجوه التخليص (من ملحقات رسالة الرد على ابن النغزيلة)، تح: إحسان عباس، مطبعة دار العروبة، القاهرة، (دط)، 1960،

10. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، مج5.

11. الحميري محمد بن عبد المنعم:

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

- صفة جزيرة الأندلس، من كتاب الروض المعطار، نر: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1988،

12. ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1996.

13. لسان الدين ابن الخطيب:

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما تعلق بذلك من الكلام، تح: سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج2.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، شركة الكتب العربية، مطبعة الموسوعات، مصر، ط1، 1901.

- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، 2002.

14. عبد الرحمان ابن خلدون:

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، السعودية، دط، دت، ج4.

- المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ط، 2001م.

15. ابن رؤوف أحمد بن عبد الله، في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، دط، 1955.

16. ابن سعيد الكاتب، التقويم في قرطبة، د.نا، د.ط، د.ت.

17. ابن سعيد المغربي علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1978، ج3.

18. السقطي أبو عبد الله محمد، في آداب الحسبة، تح: ليفي بروفنسال، مطبوعاتا معهد العلوم العليا المغربية، باريس، 1931.

19. ابن شباط، صلة السمط وسمة المرط، تح: العبادي أحمد مختار، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، العدد 14، 1967م.

20. الأشبيلي أبو الخير: عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط1، 1995، ج1.

21. الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1960، ج09.

22. ابن عبدون محمد ابن أحمد التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقي، القاهرة، دط، 1955.

23. ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013، مج2.

24. العذري أبو العباس أحمد بن عمر، نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ط، د.ت.

25. ابن العوام الاشبيلي، كتاب فلاحة الأندلسية، تح: أنور أبو سليم وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، ط1، 2012.

26. ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، دط، 1989.

27. ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تح: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دط، 1971.

28. المراكشي عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1994.

29. المظهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، بور سعيد مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ط،،، د.ت ج6.

30. شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991.

31. المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1388هـ/ 1968، ج1.

32. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، ط1، 1979.

33. مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح: بوباية عبد القادر، دار أبي رقراق، المغرب، د.ط، 2005.

34. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إش: محمد حجي، وزارة الأوقاف المغربية ودار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ط، 1981، ج2.

2- المعاجم والقواميس:

1. أحمد رضا، متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، د.ط، 1958م، مج 4.

2. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مر: محمد علي نجار، دار المصرية لتأليف والترجمة، د.ط، د.ت، ج2.

3. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، كتب عربية، د.ط، 2003م.

4. بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة بيروت- لبنان، د.ط، 1987م.

5. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مر: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.

6. ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ج9.

7. شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

8. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط6، 1998.

9. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية المسيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط، 1987، مج2.

10. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 1990م.

11. ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، بيروت– لبنان، د.ط، د.ت.

3- المراجع

1. إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1986.

2. إبراهيم سلامة، خلق ودين (دراسات اجتماعية أخلاقية)، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحليم وأولاده، ط1، 1954م.

3. أحمد مختار العبادي:

– في التاريخ العباسي والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1971.

– في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت.

4. أدهم علي: المعتمد بن عباد، الإدارة العامة للثقافة، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، مصر، دط، 2000.

5. أرشي بالدر لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.

6. ابن عبود أمحمد:

– التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، مطابع الشوبخ ديسريس، تطون، المغرب، 1989.

– جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، مطبعة النور، تطوان المغرب، دط، 1987.

7. اكسيرايتون غارسيا، تر: سانشيز، الزراعة في اسبانيا المسلمة ضمن ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت– لبنان، ط1، 1998.

8. أوليفا ريمي كونستيل، التجارة والتجار في الأندلس، تر: فيصل عبد الله، مكتبة العبيكة.

9. بوزياني الدراجي، العصبية القبلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2003م.
10. جاسم سلطان، الفكر الاستراتيجي في فهم التاريخ، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ط4، 2001م.
11. جمال الدين الأفغاني، خاطرات الأفغاني (الأعمال الكاملة)، تق: محمد باشا المخزومي، مكتبة الفاروق الدولية، القاهرة- مصر، ط1، 2002م.
12. خلاف عبد الوهاب ، قرطبة إسلامية الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دار التونسية، 1984م.
13. دلو برهان الدين، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط1، 1989م.
14. دويدار حسن يوسف:

- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامي، القاهرة، ط1، 1994.

- عناصر السكان في الأندلس، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، دط، 1994.

15. راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2011.
16. رجب عبد الحليم محمود، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (دط، دت).
17. زينب الخضري، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دارا الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1989م.
18. سحر عبد العزيز، مملكة بطليوس الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (دط. د.ت)، ج1.
19. شكيب أرسلان:

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، مصر، ط1، 1936.

- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، د.ط، 2012م.

20. عبد الرزاق مكي، الفكر الفلسفي عند ابن خلدون، الإسكندرية، د.ط، 1970م.
21. عبد العزيز سالم، تاريخ ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1969.
22. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
23. عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دط، 1990.
24. عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ك1، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، د.ت.
25. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1997.
26. عويس عبد الحليم ، ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط2، 1988.
27. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون– العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط5، 1992م.
28. محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، ط1، 2002م.
29. مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994.
30. وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.
31. يوسف شكري فرحات غرناطة في ظل بن الأحمر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.

4- الرسائل الجامعية

1. الشيخ عدة، العصبية الدينية دورها في قيام وأفول الدول الإسلامية، رسالة الماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2011- 2012م، ص17.

2. صلاح الدين وانس، تنظيم العقاري في الأندلس خلال عهد الموحدين، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، في التاريخ الإسلامي، فسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2016م،

3. عمر زعل محمد، الحياة الاقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر، رسالة الدكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، 2009،

4. فضيل بلوصوف، العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011،

5. مجدي خليل محمد البردويل، الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهد الإمارة والخلافة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، بكلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م،

6. مزرعي سمير، السلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2017-2018م.

5- المجلات

1. بسام علوش، النظرية الضريبية في الفكر الخلدوني- الدولة الموحدية أنموذجا، مجلة جامعة البحث، مج39، العدد 72، 2017م.

2. حمد بن صالح السجيباني، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم عصر ملوك الطوائف في الأندلس، مجلة البيان، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط1، 2002.

فهرس الموضوعات

شكر
إهداء
مقدمة .....أ
مدخل: لمحة عن دولة بني أمية بالأندلس إلى غاية سقوطهم وقيام حكم ملوك الطوائف10

الفـــصل الــأول: مفاهيم العصبية القبلية وطبيعتها

المبحث الأول: مفهوم العصبية القبلية وبعض المعاني المرتبطة بها 26
المطلب الأول: مفهوم العصبية لغة واصطلاحا 26
المطلب الثاني: مفهوم القبيلة والقبلية 31
المطلب الثالث: بعض المعاني المرتبطة بالعصبية القبلية 34
المبحث الثاني: طبيعة العصبية القبلية.....38
المطلب الأول: أسس العصبية القبلية.....38
المطلب الثاني: أنواع العصبية القبيلة.....42
المطلب الثالث: عوامل تعزيز قوة العصبية القبلية وضعفها 46

الفصل الثاني: بنية الاقتصاد الأندلسي في عهد ملوك الطوائف

المبحث الأول: الزراعة 55
المطلب الأول: العوامل الطبيعية 55
المطلب الثاني: المحاصيل الزراعية ومناطق إنتاجها 58
المبحث الثاني: الصناعة 64
المطلب الأول: العوامل التي ساعدت على قيام الصناعة (مقومات الصناعة) 64

المطلب الثاني: أنواع الصناعات ومجالات التصنيع 66

المحبث الثالث: التجارة 73

الفصل الثالث: الصراعات العصبية في عهد ملوك الطوائف "الدوافع والأسباب، النتائج والآثار"

المبحث الأول: دوافع وأسباب الصراع 81

المطلب الأول: المنافسة في جمع المال وتحقيق المصالح الشخصية..... 81

المطلب الثاني: العصبية والعنصرية والثأر 84

المطلب الثالث: المصلحة الاقتصادية 87

المبحث الثاني: نتائج الصراع والآثار المترتبة عليه 96

خاتمة 114

قائمة المصادر والمراجع 117

فهرس الموضوعات 126